الخطَابُ البلَاغِيُّ وأثرُه في تَوْجِيهِ الوَعْي المُجْتَمَعِيِّ وإِحْيَاءِ المُواطَنَة دِرَاسةٌ فِي قصِيدَة (وَطَنٌ يَرِفُ هَوًى إِلَى شُبَّانِه) لأَحْمَدَ شَوْقِي أُنْمُوذَجًا

إعداد

د/ رضا السيد عسر الدسوقي

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، القاهرة، جامعة الأزهر الشريف

الخطابُ البلاغي وأثره في توجيه الوعي المجتمعي وإحياءِ المواطنةِ دراسة في قصيدةِ (وطنٌ يرفُ هوى إلى شبانِهِ) لأحمد شوقي أنموذجًا.

رضا السيد عسر الدسوقي

قسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، جامعة الأزهر، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكترونـيَ: RedaEldesoky2779.el@azhar.edu.eg

الملخص:

يروم هذا البحث نظم الشاعر أحمد شوقي في قصيدته (وطن يرف هوى إلى شبانه) من جهة الوقوف على أثر الخطاب البلاغي في بث الوعي المجتمعي وإحياء قيم المواطنة، وذلك بالتبصر بصياغته وأساليبه والبِنى اللغوية التي طوعها لبث الوعي في نفوس أبناء الوطن، وكيف وظف فنون البلاغة في التعبير عن معانيه ومشاعره، فاقتطف من رياضها زهورًا أبانت عن بديع صنعته، وكشفت عن نفس صادقة وذائقة بيانية عالية، انتخب لها من الألفاظ والصور وحقول الدلالة ما يفي بمشاعره، وينقل رؤيته وأفكاره، ويرسم سبل التنمية والبناء.**ويهدف البحث إلى** إظهار بديع صنعة شوقي في درة من درره تناول فيها قضايا الوطن وأنينه. وعرض منهجية الشاعر في بث الوعي المجتمعي بالمصاب الأليم من خلال تضافر المعاني الفرعية والأساليب والصور حيال عرضه لمقصده الرئيس من نظمه. **منهج البحث:** يعالج البحث في حدود المنهج الاستقرائي التحليلي البلاغي النقدي الذي يقوم على استظهار بلاغة الناظم بتتبع تراكيبه وبناه في أبياته، واستجلاء توظيفه للبِنى اللغوية والأساليب والفنون البلاغية في عرض رؤيته ومعناه. **من نتائج البحث:** جاء النسقُ التركيبي لأمير الشعراء محكمًا قوي السبك والحبك، يظهر صنعةً عاليةً ونفسًا ذائقة وحسًا مرهفًا وروحًا متألمة لمصاب وطنها الغالي.

الكلمات المفتاحية: الخطاب البلاغي وتوجيه الوعي المجتمعي،قصيدة (وطن يرف هوى إلى شبانه) دراسة بلاغية،البلاغة وإحياء المواطنة ،بلاغة شعر شوقي، البلاغة والوعي المجتمعي.

The impact of rhetoric in directing societal awareness and reviving citizenship: a study of the poem (A Homeland Flirts with Love for Its Youth) by Ahmed Shawqi as a model.

Reda El-Sayed Assar El-Desoky
Lecturer of Rhetoric and Criticism at the Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls, Al-Azhar University, Cairo, Arab Republic of Egypt
Email: RedaEldesoky2779.el@azhar.edu.eg

Abstract:
This research aims to analyze the poet Ahmed Shawqi's poem (A Homeland That Flirts with Love for Its Youth) on the one hand, to follow the rhetoric in spreading societal awareness of the values of life and its interpretation, by examining its formulation, methods, and linguistic structures that he adapted to spread awareness in the souls of the nation's sons. And how he employed the arts of rhetoric to express his meanings and feelings, so he picked flowers from its gardens that revealed the beauty of his craftsmanship, and uncovered a sincere soul and a high rhetorical taste, for which he selected from the words, images, and fields of meaning what fulfilled his feelings, conveyed his vision and ideas, and outlined the paths of development and construction. This was through contemplation and insight into his tools that express himself, and the manifestation of what was implied in the styles, structures, and images in revealing his meaning and purpose. To identify the features of influence in his system, his methodology for presenting his purpose and vision, and to consider the interplay of secondary meanings and images with the main purpose in the internal context and the general context of the text under study.The research aims to clarify these relationships and their verbal links, highlighting their locations and attempting to fathom their secrets, revealing just a small part of the Prophetic eloquence in these hadiths, which converge and complement each other to show the believer a great characteristic of the true Islam, which helps him to properly apply the heavenly method and elevates him to the ranks of the pure elite.Research Methodology: The research deals within the limits of the analytical rhetorical critical method, which is based on demonstrating the poet's eloquence by tracing his structures and constructions in his verses, and clarifying his use of linguistic structures, styles, and rhetorical arts in presenting his vision and meaning, clarifying their subtleties and subtleties, clarifying the relationships between them in revealing the main purpose, and the features of harmony between the verses of the poem, and eliciting a basis from the foundations of influence and persuasion in his poems.Among the research findings:The compositional structure of "The Prince of Poets" is well-crafted, strong, and well-woven, revealing a refined craftsmanship, a refined sense of taste, and a soul pained by the tragedy of its beloved homeland.

Keywords: Rhetoric and directing community awareness ' The poem (A Homeland Flutters its Passion for its Youth) A rhetorical study ، Rhetoric and reviving citizenship ، The rhetoric of Shawqi's poetry ، Poetry and community awareness.

مقـدمـة

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ علي النَّبِيِّ المُخْتَارِ الأَمِينِ، الذي نَصَح وَوَجَّهَ، وعلَّم وربَّى، فأخرجَ الناسَ مِنْ يَنَابيعَ الجهلِ والغفلةِ إلى آفاق الهُدَى والنّورِ المبينِ، وعَلى آلهِ وصحابتِه الأخيارِ الطّاهرين، والتّابعين لهم بإحسانٍ إلَى يومِ الدينِ.

أمَّا بعد

فالشعرُ العربي يُعدُّ مرآةً لكلِّ عصر، فهو لسانُ المجتمعِ المُدَافِعُ عنه المطالبُ بحقوقِه، وهو مسلكٌ مِنْ مَسَالكِ التّربيةِ والإصلاحِ والتّوجيهِ والتّقويمِ، عَنَي به أَصحابُه عنايةً حَفَظتْ له الخلودَ، وأَفْرَدَتْ له التميزَ بَيْنَ فنونِ الخِطَابِ البَشريِّ، يُلقي فيه الشاعرُ مِنْ روحِهِ ووجدانهِ وزفراتِ أنينهِ وأنينِ عصرِه ما يجعلُه قطعةً مِنْ فؤادِه تَجوبُ آفاقَ الدنيا؛ لتُعلِنَ عَن نفسِه ومشاعرِهِ ورؤيتِه، يَلتمسُ فيه كلَّ الأساليبِ والتراكيبِ والبِنى اللغويّةِ التِي تُشْرِكُ متلقيه معه فِي عالمهِ الخاص، وتجعله يَرَى فِكرَ الشاعرِ ومقصدَه رؤى العين–فالمتلقي جزء أساس فِي النصِّ الشعري– ينفعلُ لمشاعره، ويُحسنُ التلقي عنه، والتبصُّر بمعانيه، ومِنْ ثَمَّ كان لزامًا على الشاعرِ أَنْ يصبغَ شعره ببديعِ صنعتهِ، وبليغِ معناه، وجميلِ لفظهِ؛ لتَستقيمَ الرسالةُ التي يقصدها، وتَسْتَبِينُ الكعبةُ التي يطوفُ حولها.

وعِلْمُ البلاغةِ هو أقدرُ العلومِ وأعلاها كشفًا وتبصُّرًا لتلك الرسائِلِ النفسيةِ، والمعاني البشريّةِ التي تَحْوِي سرائِرَ نفوسِ أَصحابِهَا، وتقصُّ رؤياهم الفكريةِ، وتبثُّ مشاعرهم وتُعربُ عن سَمْتهم البيانيّ والنَّفسيّ؛ فالشعرُ هو جوهرُ العملِ البلاغيِّ؛ فهو" مَعْدَنُهَا، وعليه المعول فيها، وفِي علمِ الإعرابِ

الـذي هـو لهـا كالناسـب الـذي يُنْميهَـا إلـى أصُـولها، ويُبِـينُ فَاضـلهَا مِـنْ مفضولِها"[١]

ومِنْ أصدقِ المعاني التي يُنسجُهَا المُنشىء في شِعْره تلك التي تحكي التاريخَ وتنقلُ أحداثه، وتترجمُ عن العصورِ والأوطانِ ومَنْ فيها، وتبثُّ فِي نفسِ المتلقي العِزَّة والكرامة ورَفْض الضيم، وتتمثلُ تلك المعاني خير ما تتمثلُ في ذَلِكَ الشعر الذي يتناولُ قضايَا الوَطَنِ والأمةِ، فيعرضُ الناظمُ معناه فِي قطعةٍ فنِّيَّة تمتلىء بمشاعرِه تجاه وطنه، وتسري فيها معانيه وآراؤه سريان الروحِ فِي الجسدِ، ينظمها مِنْ فؤاده، ويَكْسُوها بحُلى النُّصح والإرشاد والوعْي والتَّقويم، رافعًا راية الوعْي المجتمعيّ الذي يسعَى إلَى إدراك أفراد الوطنِ لقضايا وطنهم.

ويتربّعُ على عَرْش ذَلِكَ الشعر فِي العصر الحديث أحمد شوقي، الذي تجَرَّع مرارةَ أوجاع وطَنِه مِنْ ذُلّ الاحتلالِ والجهلِ والفقرِ والتأخُّر والضّياعِ، فعَمَد إلَى تَوْجيه الوَعْي المجتمعيّ فِي قصائده، فاستطاعَ توظيفَ أدواته داخل نَظْمه بمَا يلفتُ الانتباه، ويُحَفِّزُ المُتَلَقِّي للمعاني المطروحةِ، ويُشَكِّلُ الرأي العام، ويُرسخُ القيمَ الوطنيةَ العالية، فلَجَأ إلَى أَسَاليبَ واستراتيجياتٍ عديدةٍ، منها ما يخُصّ التراكيبَ، ومنها ما يخُصّ الإيحاء والرمز، ومنها ما يَرجعُ إلَى التّصويرِ وإضفاءِ روح الحياةِ على معانيه، هذا إلى جانب التّأثير الصّوتي والموسيقي الذي يُسْهمُ في حِفْظِ القصيدةِ ونَشْرِها وترديدها بينَ أبناءِ الوطنِ، ويُضفي حماسًا وثوريةً على قصيدته، ويجعلها وسيلةً فعّالةً في

١) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني الدار (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبوفهر، ٧-٨، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.

تحريكِ ضمير أبناءِ الوطنِ، وهذا ما سيتعرضُ له البحثُ حيال الشرح والتوضيح.

ومِنْ هنا وَقَعَ الاختيار على إحدى قصائده الركيزة، ودُرره النفيسةِ، وهي تلك القصيدة التي تَصرخُ في شبابِ الوطنِ بنداءِ الحريةِ والكرامةِ؛ ومِنْ ثَمَّ كان عنوانُ البحثِ:

(الخِطَابُ البَلاغِيُّ وأثرُهُ في تَوْجِيهِ الوَعْي المُجْتَمَعِيِّ وإحْيَاءِ المُواطَنَةِ دِرَاسةٌ فِي قصِيدَةِ (وَطَنٌ يَرفُ هَوَى إلَى شُبَّانِهِ) لأَحْمَدَ شَوْقِي أُنْمُوذَجًا).

وآثَرَ البحثُ عنونَتَه بمطلعِ القصيدةِ وإنْ كانت لها عنوان في نسخةِ ديوان الشوقيات طبعة هنداوي؛ حيثُ جاءَ عنوانها (تكريم)[1]، وهذا العنوان وُضِع لقصائد أخرى؛ لِذَا تَمَّ الاعتماد على مطلعِ القصيدةِ فِي تحريرِ عنوان البحثِ، أَمَّا عنوانها فِي طبعة د.أحمد الحوفي فجاءَ(ثلاثةٌ مِنْ شُبَّان مصر)[2]، وَنَوَّه في التعليقِ عليها أَنَّ عنوانها فِي الديوانِ(تكريم)، فآثَرْتُ تمييزها للمتلقي بمطلعِهَا الذي تَنْفردُ به؛ احتراسًا مِن اللبسِ أو التأويلِ، والنسخةُ التي اعتمد عليها البحثُ هي طبعة هنداوي؛ لأَنَّها أَصْلٌ رَجَعَ إليه د.أحمد الحوفي في طبعته.

وآثرَ البحثُ نظمَ أحمد شوقي؛ لعُلُوّ صَنْعَتِه في أشعاره، وصِدْقِ تجربتِهِ الشعريةِ، فقد عانى مرارةَ الاحتلالِ، وتطَلّعَتْ نَفْسُه إلى ربيعِ الحريةِ، **كما آثرَ البحثُ تلك القصيدة؛** لإحكامِ صَنْعَتِه فيها، وتضافر الأدوات والأساليب والتصوير في بَثِّ الوَعْي بمُصَاب الوطن، كَمَا أَنَّهَا تَعْكِس أَثَر

---

١) ينظر الشوقيات لأمير الشعراء أحمد شوقي، ٣٥٢/١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة–جمهورية مصر العربية،٢٠١٢م.

٢) ينظر ديوان شوقي توثيق وتبويب وشرح وتعقيب الدكتور: أحمد محمد الحوفي، ٥٨٢/١، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر–القاهرة.

الشّعر في تناوُل قضايا الوطنِ، وتُسْهِم في بيانِ الوظيفةِ الإقناعيّةِ والتّوجيهيّةِ والإصلاحيّةِ لبلاغةِ الخطابِ اللغويّ، بما يُؤَثِّر في نَفْس المتلقي، ويُحَقِّقُ مَقْصدية التّواصُل الفعَّال بَيْن النَّظْم والمستقبل.

ويُعْنى **البحث** بنَظْمِ الشاعر وصياغتهِ وأساليبه والبِنى اللغوية التي طَوَّعَها لِبَثّ الوعْي في نفوسِ أبناء الوطن، وكَيْف وَظَّف فنون البلاغةِ في التّعبير عَنْ معانيه ومشاعره، فاقتطفَ مِنْ رياضها زهورًا أبَانتْ عن بديعِ صنعتهِ، وكشفتْ عن نفسٍ صادقةٍ وذائقةٍ بيانيةٍ عاليةٍ، انْتُخبَ لها مِن الألفاظِ والصّورِ وحقولِ الدلالةِ ما يفي بمشاعره، ويَنْقل رؤيته وأفكاره، وَيرْسمُ سُبُل التّنمية والبناء، هذا مِنْ خلال التّدبُّر والتّبصُّر لأدواته المُبَيِّنة عن نفْسه، واستظهار ما اسْتَبطَنتهُ الأساليبُ والتراكيبُ والصّورُ فِي الكشفِ عَن معناه ومَقْصَدِه، والنّظر إلى تضافرِ المعانِي الفرعيّةِ والصُّور مَعَ المَقْصدِ الرئيس في السِّياقِ الدّاخلِيّ والسِّياقِ العام للنَّصِّ مَوْضُوع البَحْثِ.

وعلى أساسِ هذا فإنّ البحثَ يَسْعَى لتَحقيقِ جُملةٍ مِنْ المقاصد هي:

* بيانُ أثر بلاغةِ الخطابِ اللغويِّ في التّوجيهِ والإصلاحِ، وتَحْريكِ الشُّعوبِ وتغييرِ مسارِ الأحداث.
* إظهارُ بديع صَنْعةِ شوقي في دُرّة مِنْ دُرَرِه تَنَاوَلَ فيها قضايا الوطنِ وأنينه.
* عَرْضُ منهجيَّةِ الشّاعرِ فِي بَثِّ الوَعْي المجتمعيّ بالمُصَابِ الأليم مِنْ خلال تَضَافرِ المعانِي الفَرْعِيّةِ والأساليب والصُّور حيال عَرْضه لمقصده الرئيس مِنْ نَظْمِهِ.

مشكلةُ البحثِ: تَنْطَلِقُ مشكلةُ البحثِ مِنْ النّظرِ في آليَّةِ توظيفِ الشّاعرِ لفنونِ البَلاغةِ في بَثِّه الوَعْي بمُصَاب الوطنِ، وبيان سُبُل إعادةِ الحُرّيّةِ والكرامةِ حيال عَرْضه لنَظْمِه، ومنهجهِ في عَرْض مَقْصَده وفِي الإقناعِ والتأثيرِ فِي نَفْس المتلقِّي.

ومِنْ ثَمَّ يحاولُ البحثُ الإجابةَ عن بعض التّساؤلات التي نَبَتَتْ مَعَ فِكْرة البحث، وهي:

- كيف وَظَّفَ الشاعرُ فنونَ البلاغةِ في التّوجيهِ والإصلاح؟
- مَا الأَدواتُ والمُرْتَكَزاتُ الأُسْلُوبيَّةُ التي انْطَلَقَ مِنْهَا الشّاعرُ، ووَظَّفَهَا للإقناعِ برؤيته فِي عرضِ مُصابِ الوطن، وسُبل التّنميةِ وإعادة الحرّيّة؟
- مَا استراتيجيّةُ الشّاعر فِي عَرْضِ المَقْصِد الرّئيس، وكيفَ تضَافرتْ معانيه لإشعالِ حماسِ القلوبِ؟
- أَأَحْدَثَ الشّاعرُ انسجامًا وتناغُمًا بَيْن أبياتِ نَظْمِه ومعانيه، فَأَحْكَمَ السبكَ، أم اسْتَقَرّ كلٌ في وادٍ؟
- هَلْ جَاء نَظْمه وحدةً واحدةً يتفرّعُ بعضُها عَنْ بعض، وَيَعُود آخرُها على أوَّلِهَا في بناء مُحْكَمٍ يُعْرِبُ عن نَفْس الشّاعرِ وآلامه، ويُحَقِّقُ غايته ومَقْصِدِه؟

الدراساتُ السابقةُ: ما كُتِبَ مِنْ الدراسات السابقةِ عَنْ أشعارِ شوقي وفنونهِ اللغويّةِ بَلَغَتْ مِن الكثرةِ حَدًّا يَجعلُ المتلقي يَتوهمُ استفراغَ طاقات إبداعِ الشّاعر، وعَدَم وجود نَظْم له لَمْ يُدرس بعد، بيد أَنّ القصيدةَ مَحَلّ النّظرِ والبحثِ لَمْ أعثر لها على دراسةٍ – في حدودِ إطلاع الباحثةِ – تَنَاوَلَتْهَا بالبحثِ والتحليل، وغاية ما وُجِدَ من دراسات حَوْل نَظْم الشّاعرِ ليس فيها ما يُطَابقُ هذه الدّراسة مِنْ حيث القصيدةِ ولا عنوان البحثِ، ولا مِنْ حيث محور الدراسةِ ومجال عنايتها، بيد أنّ تلك الدراسات كانت خيرَ رافدٍ لبحثي وأقْوَى معين لي على فَهْم نَظْم الشّاعرِ وبديعِ صَنْعَته.

منهجُ البحثِ: يُعالجُ البحثُ في حدودِ المنهجِ الاستقرائيِّ التّحليليِّ البلاغيِّ النّقديِّ الذي يَقُومُ على استظهارِ بلاغةِ النّاظم بتَتَبُّع تراكيبه وَبِنَاه اللغويّةِ في أبياته مِنْ مطلعِ القصيدة حَتَّى خاتمتها، مُلْتَزِمًا في ذلك ببيانِ توظيفه للبِنى اللغويّة والأساليب والفنونِ البلاغيّة في عَرْض رؤيته ومعناه، مُبَيِّنًا عَنْ دقائقِها ولطائفِها، مستجليا العلائق بينها بما يَكشفُ عن المَقْصِد الرّئيس، وملامحِ الانسجامِ بَيْن الأبيات، ويستنطقُ أساسًا مِن أُسُس التأثيرِ فِي نَظْمِهِ، ومحاولة تفسير ذلك بما يُفصحُ عن منهجهِ في عرضِ رؤيته

ومقصده، ويُبرزُ موهبته وحسن صنيعه، والتزمَ البحثُ بالجانبِ النقديِّ فِي الدراسةِ والتحليلِ؛ حيث استنطاق بلاغة شوقي فِي انتخابِه لألفاظِه وصورِهِ ومنهجه فِي العرضِ مع بيان مواطنِ الإجادة والإبداع، ومَا كان للبَحثِ فيه نظرٌ.

خطةُ البحثِ: تأسيسًا على ما تَقدّم معالجته، فقد اسْتقَامَ البحثُ في مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثةِ مباحث، وخاتمة، وثبتٍ بمصادر البحث ومراجعه، وفهرسٍ لموضوعات البحثِ.

المُقَدِّمــةُ وفيهـا أهمِّيـةُ الموضـوعِ، ودوافـعُ اختيـارِهِ، ومقاصـدُه، ومشـكلتُه، ومنهجه، والدراساتُ السابقة وخطةُ البحثِ.

أمَّا التَّمْهيدُ فجَاءَ فِيه أَمْرَانِ يَعْقُبهمَا نصّ القَصيدةِ

أولا: لمحةٌ عن الشاعرِ.

ثانيا: بينَ يدي القصيدةِ.

مباحثُ البحثِ:

المبحثُ الأولُ: حنينُ الوطنِ الدائم إلَى الشبابِ القوة الفاعلة فِي بناء مجده.

المبحـثُ الثـانـي: روافدُ التوعيـةِ المجتمعيّةِ وآليّاتُ عَملِها بما يُحقّقُ الحريـةَ والتطورَ.

المبحثُ الثالثُ: إثارةُ الوَعْي بسُبُلِ الحريةِ والتقدمِ ونبذُ الجهلِ والتغافلِ.

الخَاتِمَةُ:

وفِيهَا رَصدٌ للَّنتَائج التى أَسْفرَ عَنهَا البَحثُ وتَوْصِيَاتُه.

وأخيرًا فإني أَسألُ الله العليَّ القديرَ أنْ يُعينني على إتمامِ هذا البحث، وأنْ يجعله خالصًا لوجههِ الكريمِ، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود: ٨٨**

البـاحـثـــة

تـــمـــهـــيـــد

أولًا: لمحة عن الشّاعر

أحمد شوقي (١٢٨٥-١٣٥١هـ=١٨٦٨-١٩٣٢م)

هو أحمد شوقي بن عليّ بن أحمد شوقي، أشهرُ شعراء العصر الحديث، لُقِّب بأمير الشعراء[١]، وُلد بالقاهرة سنة(١٨٦٨م)، وتُوفي سنة (١٩٣٢م)، عن أربع وستين سنة[٢]، كان شوقي مَفْطُورًا على الشعر، وكانت الحياةُ في عينيه شعرية الملامح[٣]، وعالجَ أكثرَ فنون الشعر: مديحًا، وغزلًا، ورثاءً، ووصفًا، ثم ارْتَقَى فتناولُ الأحداثَ السياسيةَ والاجتماعيةَ في مصر والشرق والعالم الإسلامي، فجَرَى شعره على كلِّ لسان، وبُويِعَ شوقي بإمارةِ الشعر في مهرجان كبير بالقاهرة سنة(١٩٢٧م) بَعْدَ طبعِ ديوانه الطبعة الثانية، فِي حفل كبير في دار الأوبرا تحت رعاية الملك فؤاد ورئاسة سعد زغلول[٤].

أعماله: كان لشوقي الكثير مِن الأعمال الشعرية والنَّثَرِيّة أيضًا، ومِن أهمّ أعماله الشّعرية: ديوان ضخم عُرف بـ(الشّوقيات)، ويَنْقَسم إلى أربعة أجزاء كبيرة؛ الجزءُ الأَوَّلُ يَشْتَمِلُ على منظومات حَوَتْ شعرَ الصبا والمدائح وأغراضًا أخرى، والجزء الثاني حَوَى الوصف والغزل وبعض المتفرقات، والجزءُ الثالثُ حَوَى مراثيه كلها، والجزءُ الرابع تَضَمَّن متفرقات مِن المدائح

---

١) ينظر الأعلام،المؤلف: خير الدين الزركلي الدمشقي ،١٣٦/١، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢٦٤/١، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢) معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة، إيميل بديع يعقوب،٩٥/١ ، ط١، دار صادر، لبنان، ٢٠٠٤م.

٣) أحمد شوقي، د. زكي مبارك ،٩، دار الجيل بيروت. ١٤٠٨هـ. ١٩٨٨م

٤) ديوان شوقي (الشوقيات)، تحقيق د. أحمد الحوفي، ١٠/١.

التي أَعْقلها الشاعر، فضلًا عن أغراضٍ شتَّى خصَّها بالشعر التعليمي، والأمثال الخرافية، وللشاعر أيضًا كتابٌ ظَهر بعد وفاته وعنوانه(حول العرب وعلماء الإسلام)، وأغلبه أراجيز تتناولُ التاريخَ الإسلامي وعلماءه حتى الفاطميين، ولشوقي أيضًا سِتُّ رواياتٍ تمثيلية مِنها خمس مسرحيات شعرية[١].

ثانيا: بين يدي القصيدةِ:

القصيدةُ تَقَعُ فِي سبع وثلاثين بيتًا، نُظِمَتْ من بحر الكامل التام، دعا فيها الشاعر شبابَ الوطن إلي بناءِ مجدِه وإعادة حريّته، ورَسمَ معالمَ الطريق المُوصل إلَى الحريةِ والتطور.

ومَقْصدُ القصيدةِ هو: تَوْجيهُ الوَعْي بمصاب الوطن، ونَبْذ التغافل والجهل والتكاسل، وتوجيه الشباب إلى دورهم في الحصولِ على حرية الوطنِ واستقلال أراضيه، ونَقْلُ الاتجاه الفكري والسياسي في عصره، فالقصيدةُ تُعَدُّ دعوةً إلى التحرّر واسْتِرْدَاد مكارم السابقين ومُلْكهم.

مناسبةُ القصيدة: نَظَم شوقي تلك القصيدة في حفل أُقيم بفندق شِبْرِد[٢]؛ لتكريم الأساتذة عبدالملك حمزة وإسماعيل كامل وعوض البحراوي[٣].

---

١) أمير الشعراء حياته آثاره أغراضه الشعرية، محمد عطوات،٢٤-٢٥، ط١، دار المتأهل، لبنان، ٢٠٠٤م.

٢) ديوان الشوقيات، طبعة هنداوي ، ٣٥٢.

٣)"كان اسماعيل كامل وعوض البحراوي ومحمد عبدالملك حمزة من شباب الحزب الوطني، ولهم صلات وثيقة بمصطفى كامل زعيم الحزب، ثم بخليفته محمد فريد، ولما قامت الحرب الكبري الأولى ١٩١٤م انضموا إلى الجيش التركي الموالي لألمانيا ضد الحلفاء؛ لتخليص مصر من الاحتلال البريطاني، وقد زحف الجيش إلي مصر لكن هزيمة ألمانيا فوتت عليهم الغرض المنشود، فرجعوا الى أروبا وجعلوا =

وعدَّ شارح الشوقيات القصيدة مِن الشعر الاجتماعيّ[1] إلا أنَّها تُعَدّ مِن الشعر الوطني بالنظر إلى ما يَتَولَّد مِن النص مِن دلالاتٍ ومعان وطنية تَرسم أوجاعَ الوطن، وتنادي بالحريةِ مِن وطأة الاستعمار، وتُحْيِي قيمًا وطنية سامية- والغرضُ الشعري للنظم ناظرٌ إلى المعاني النفسية والدلالات التي يَتَضمَّنُها، فهي قِبْلَةُ النظر في تحديدِ الغرض مِن القصيدة-، فضلًا عما تضمَّنته مِن نصائح وإرشادات وتوجيه وطني خالص، صَوّرَ مرارةَ الاستعمار وسُبل الخلاص منه، وأبانَ مسالك النهضة والتنمية والبناء؛ ولذا فالقصيدةُ أقربُ رحمًا للشعر الوطني مِن الشعر الاجتماعي، تُتَرْجِم حال الشعب المصري وما يعانيه آنذاك، ويُعْلن الشاعر من خلال نظمها عن رغبته القوية في اسْتنهَاض همم الشباب لإعادة مجد الوطن وحريته.

المعاني التي تناولتها القصيدة: تَشكلتْ القصيدةُ مِن عدة معان تفرعت وتشابكت مع المعنى الأم للقصيدة لتأدية مقصد الشاعر، والمعنى الأم بَثَّه شوقي مِن مطلع قصيدته تفرع عنه معان تماسكت وتناسبت، وشدَّ

=

يبثون الدعاية لمصر، وبعد غيبة طويلة عادوا إلى مصر، فأقيم لهم حفل استقبال كبير بفندق شِبْرد أول ديسمبر ١٩٢٠م، حضره كثير من كبار المصريين وألقى فيه مرقص حنا باشا كلمة في الترحيب بهم والثناء عليهم نيابة عن الرئيس يوسف كمال الرئيس الشرفي للاحتفال، أما قصيدة شوقي فقد ألقاها الدكتور محجوب ثابت وكان سعد زغلول في أروبا حينئذ ومشروع ملنر معروض عليه وعلي المصريين، فانتهز المحتفلون فرصة الاجتماع وحملوا علي المشروع " ينظر ديوان الشوقيات توثيق وتبويب وشرح وتعليق، د.أحمد الحوفي، ٥٨١/١.

١) الشعر الاجتماعي: مصطلح أدبى يهدف إلى نقد بعض مظاهر الحياة الإجتماعية، ينظر صور من الشعر الاجتماعى فى العصر العباسى، د.ضيف الله سعد الحارثى،٦،جامعة أم القرى، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية،١٤١٧هـ.

بعضه بعضًا في بنيان مرصوص؛ ليكتمل المقصد المراد، **ومعاني القصيدة جاءت كالآتي:**

١- حنينُ الوطنِ الدائم إلَى الشبابِ القوة الفاعلة فِي بناء مجده.

٢- روافدُ التوعيةِ المجتمعيّةِ وآليّاتُ عَملِها بما يُحقّقُ الحريةَ والتطورَ.

٣- إثارةُ الوَعْي بسُبُلِ الحريةِ والتقدمِ ونبذُ الجهلِ والتغافلِ.

موسيقى النص: القصيدةُ مِن البحر الكامل التام الذي يتميز بإيقاع قوي وانسيابي، مما يجعله مناسبًا للقصائد الحماسية والوطنية؛ حيث يُمكِّن مِنْ حِفْظ القصيدة وترديدها بينَ أبناءِ الوطن؛ ليُحقق غرضها ويضمن بقاءها وخلودها في صدور أبناء الوطن، وهو بدوره يَنْسَجمُ مع غرض الشاعر في الحثّ علي بناء مجد الوطن واستعادة حريته، كما أنّه يُجسد التناغم والتكامل الذي يُهَيِّئ الشاعر أنْ ينقل معانيه وصوره للمتلقي مؤثرًا فيه كيفما يريد، ويُمكِّنه مِن إرسال الحكمة والأمثال، فيَتخذ مِن كلماته وصوره عِبَرًا يترنم بها، وعظة يَحث بها الشباب علي رفعة الوطن في نَظْمٍ مُحْكَمٍ حرص فيه علي جودة اللفظ، وشرف المعنى، ورنين موسيقاه، وحسن تأثيره ووقعه على الآذان والقلوب، فبحرُ الكامل" أكثرُ بحور الشعر جلجلة وحركات، وفيه لون خاص مِن الموسيقى يجعله-إن أريد به الجد- فخمًا جليلًا مع عنصر ترنمي ظاهر، ... ، ونوع مِن الأبهة يمنعه أنْ يكون ترفًا أو خفيفًا شهوانيًا، هو بحر كأنما خلق للتغني المحض سواء أأريد به جد أم هزل، ودندنة تفعيلاته مِن النوع الجهير الواضح الذي يهجمُ على السامع مع المعنى والعواطف والصور حتى لا يُمكن فصله عنها بحال مِن الأحوال"[١].

١) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله بن الطيب المجذوب (ت ١٤٢٦ هـ)، ٣٠٢/١-٣٠٣، دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

حرف الروي فِي القصيدة هو النون، والهاء للوصل، والياء المتولدة عن إشباعها خروج، والنون هو الحرف الذي بنيت عليه القصيدة، وكسرته تشعر بالرقة واللين[1]، وقافية القصيدة قوية تتسم بالقوة التي تعزز الطابع الوطني الحماسي.

١)المرشد إلي فهم اشعار العرب ، ٨٦/١.

نص القـصـيدة [1]

وطـنٌ يَـرفُ هـوَى إلَـى شُبَّانــهِ ... كـالرَّوضِ رِفَّــته على رَيـحـانِـه
هــم نَـظْــمُ حِلْيتِه وجَوْهَرُ عِقْــدِه ... والعِـقـدُ قيمتُه يـتـيمُ جُـمــانِـه
يَـرجــو الربيعَ بهم ويـأْمـلُ دَولــةً ... مِــنْ حُـسْـنِه ومِـن اعتدالِ زمانِـه
مَنْ غابَ مِنْهم لم يغِبْ عن سَمْعِه ... وضمـيـرِه، وفـؤادِه، ولـسـانِــه
وإذا أَتـاه مـبـشِّـر بـقـدومِــهـم ... فـمِـنْ الـقـميصِ ومِنْ شَـذَى أَرْدانِـه
ولـقـد يـخُـصُّ النافعينَ بـعـطـفِــه ... كـالشـيـخِ خَـصَّ نـجـيبَـه بجنانِـه
هـيهـات ينْسَى بـذْلَــهم أرواحَهــم ... فِــي حـفـظِ راحـتِــه وجَـلْـب أمانِه
وقَـفُــوا لــه دُونَ الـزمانِ ورَيْبِــه ... ومـشَـتْ حَـداثـتُـهـم على حَدَثانِه
فِـــي شـدّةٍ نُـقِـلَـتْ أنـاةُ كُهولِــه ... فـيـهـا، وحـكـمـتُهـم إلَى فِتـيـانِه
قُمْ يا خطيبَ الجمعِ، هاتِ مِنْ الحُلى ... مـا كـنـتَ تَـنْـثُـرُه عـلـى آذانِــه
فـلطـالــمـا أبـدَى الحنيـنَ لقسِّــه ... واهـتـزَّ أشـواقًـا إلَى سَـحْـبـانِـه
نـادِ الـشـبـابَ، فـلـم يَزَلْ لك ناديًـا ... والـمـرءُ ذو أثَـرٍ على أخْـدانِــه
اُمْـدُدْ حُداءَك فِي الـنَّـجائبِ تَنْصرِفْ ... بهَـوَى أعـنَّـتِـهَـا إلَى تَـحْـنـانِـه
أَلْقِ الـنصـيـحـةَ غيرَ هائبٍ وَقْعِها ... لـيـس الـشـجاعُ الرأْي مثْلَ جـبانِـه
قُـلْ للـشـبـاب: زمـانُـكـم مُـتحـرِّكٌ ... هـل تـأخذون الـقسطَ مِنْ دَوَرانِــه؟
قُـمـتـم عـلـى الأحـلامِ تَـلْتَزِمُونَها ... كـالعـالـمِ الـخـالــي على أوثــانِـه
وتُـنـازِعـونَ الـحـيَّ فَـضْـلَ ثِـيابه ... والـمـيْـتَ مـا قد رثَّ مِنْ أكـفـانِــه
ولـقـد صَـدَقـتـم هذه الأرضَ الهـوَى ... والـحـرُّ يـصْـدُقُ فَـي هـوَى أوطـانِه
أمــلٌ بَـذَلْـتـم كـلَّ غــالٍ دُونَــه ... وفَـقـدتـمُ ما عـزَّ فِـي وجــدانِــه
اللـيــثُ يَـدْفَـعُـكم بشدَّةِ بَـأْسِــه ... عـنــه، ويُـطْـعِـمُـكـم بفَــرْطِ لِبانِــه
ويُـريـدُ هــذا الـطـيـرَ حـرًّا مطلقًا ... لـكـن بأَعْيُـنِـه وفِــي بُـسـتـانِــه
أوفــدتـمُ وفــدًا، وأَوْفَـدَ ربُّـكُـم ... مـعـه الـعـنـايـةَ، فهْي مِنْ أعوانِــه
الـعـصـرُ حـرٌّ، والشـعــوبُ طليقةٌ ... مَـا لم يَحُـزْهـا الجـهـلُ في أَرسانِــه

---

١) ينظر ديوان الشوقيات، لأمير الشعراء أحمد شوقي،٣٥١/١، طبعة هنداوي للتعليم والثقافة.

فـاضَ الزَّمـانُ مِنْ النبوغِ، فهل فتًى ... غـمَـرَ الـزَّمـانَ بعلـمِه وبَـيانِـه؟
أيـن الـتجـارةُ وهـي مضمارُ الغنى؟ ... أيـن الصـنـاعـةُ وهـي وجهُ عَنانِه؟
أيـن الـجـوادُ عـلى العلومِ بمالِه؟ ... أيـن المـشـاركُ مـصرَ فِـي فـدانِـه؟
أيـن الزراعةُ فِي جـنانٍ تَحْتَـكِمُ ... كـخَـمَـائـلِ الفِـرْدَوْسِ أو كـجِنانِـه؟
أَنِـذَا أصـابَ القطنَ كَـاسدُ سُوقِه ... قُـمْـنَـا على سـاقٍ إلَى أَثـمـانِـه؟
يـا مَنْ لشعـبٍ رَزْؤُه فِـي مالِـه ... أنـسـاه ذكـرَ مـصـابِه بكـيانِـه!
المـلكُ كان، ولَمْ يَكُنْ قطنٌ، فلـم ... يُـغـلَبْ أُبـوَّتُـنـا على عُمـرانِـه
(الفـاطـميةُ) شَيِّدت مِنْ عِـزَّهِ ... وبَـنَـى(بـنـوأيـوبَ) مِـنْ سُلطانِـه
بـالقـطـنِ لمْ يَـرْفَـعْ قواعدَ مُلكه ... فـرعـونُ، والـهـرمـان مِـنْ بنيانِـه
لكـن بـأَوَّلِ زارعٍ نَقَـضَ الثَّـرى ... بِـذكَـائِـه، وأثـاره بَـبـنـانِـه
وبكـلِّ مُحْسـنِ صَنْعةٍ فِي دَهْـرِهِ ... تَـتَعَـجَّـبُ الأجـيـالُ مِـن إتـقـانِـه
وبهـمةٍ فِـي كـلِّ نفسٍ حَـلَّقتْ ... فِـي الجـوِّ وارتـفـعـتْ على كـيوانِـه
مُلْـكٌ مِـنْ الأَخـلاقِ كـان بِنَاؤُه ... مِـنْ نـحْـتِ أوَّلـكـم ومِـنْ صَـوَّانِـه
فَـأْتُـوا الهـياكِـلَ إنْ بَنَيْتُمْ، واقْبِسُوا ... مِـنْ عـرشِـه فِـيهَا، ومِـنْ تِـيجانِـه

المبحث الأول

حنينُ الوطنِ الدائمِ إلَى الشبابِ القوةِ الفاعلةِ فِي بناء مجدِه.

وطـنٌ يَـرفُّ هَـوَى إلَـى شُبَّانــهِ ... كـالـرَّوضِ رِفَّــتــه على رَيـحـانِـه
هــم نَـظْــمُ حِلْيتِه وجَوْهَرُ عِقْــدِه ... والعِـقـدُ قيمتُه يـتـيمُ جُـمــانِـه
يَـرجــو الربيعَ بهم ويـأْمـلُ دَولــةً ... مِــنْ حُـسْـنِه ومِن اعتدالِ زمانِـه
مَنْ غابَ مِنْهم لم يغِبْ عن سَمْعِه ... وضمـيـرِه، وفـؤادِه، ولـسـانِــه
وإذا أَتـاه مـبـشِّـر بـقـدومِــهــم ... فـمِـنْ الـقـميصِ ومِنْ شَـذَى أَرْدانِـه
ولـقـد يـخُـصُّ النافعينَ بـعـطـفِــه ... كـالشـيـخِ خَـصَّ نـجـيبَـه بجنانِـه
هـيهـات يـنْسَى بـذْلَــهم أرواحَهــم ... فِــي حـفـظِ راحـتِــه وجَـلْـب أمانِه
وقَـفُــوا لــه دُونَ الــزمانِ ورَيْبِــه ... ومـشَـتْ حَـداثـتُـهـم على حَدَثانِه
فِــي شـدّةٍ نُـقِـلَـتْ أنـاةُ كُهولِــه ... فـيـهـا، وحـكـمـتُهـم إلَى فِتـيـانِه

بَرَع شوقي في استهلالِ قصيدته بهذا الاستهلال الذي بناه على بيانِ حنين الوطن، واهتزازه شوقًا إلَى قوته الماجدة جاذبًا الانتباه بهذا الاستهلال الحـيّ المبنـيّ علـي التّصـوير والحركـة، نـاقلًا المتلقـي مِـن دنيـا الصـمتِ والسكونِ إلَى عالم الحركة والحياة، منبئًا بذلك عن المقصدِ مِن القصيدةِ؛ فمطلـعُ القصـيدةِ هـو أوّلُ مـا يَطْـرُق سـمعَ المتلقـي ويبـثُّ فـي نفسـه بـوادرَ المعنى المراد، وهو مفتاحُ معنى القصيدةِ.

بَثَّ شوقي معناه مِن خلالِ التشبيهِ التمثيلي الذي عقده في مستهلِ قصيدته، كاشفًا به الحجابَ عن مقصده، مثيرًا لنبض الوعْي المجتمعيّ بأهميّةِ تلك الفئةِ في بناءِ الوطن، وموجهًّا وعي الشبابِ بمسؤوليتهم في البناءِ والتنمية، وحاثًّا للقائمين على الأمر بضرورةِ استثمار تلك الطاقات المهمةِ، وهذا ما يُمْكن للمتلقي أنْ يَلْحظه في نسيجِ التشبيه التمثيلي؛ حيثُ شَبَّه هيئةَ ميل الوطنِ واهتزازه شوقًا وحنينًا إلَى مَنْ يَبْني مجده ويَسْتعيد حريته بهيئةِ روض يَتمايلُ ويَهتزُّ بفضلِ الرَّيْحَانِ المزدهرِ اليانعِ؛ حيث يُعلنُ الروضُ مِن خلالِ وجود الرّيحانِ عن ازدهارِه وكثرة نباتاته الخضراء اليانعةِ

البديعةِ؛ وذلك بفضلِ التنعمِ بعظيمِ النعمِ لوجودِ الريحان الذي يُستدل بوجوده على رطوبةِ التربةِ وكثرة المياه، وتوافُرِ أسباب الحياة بما يَضمنُ استبقاء الحياةِ في الروض، فضلًا عن طِيب عرفه وعموم نفعه، ووجه الشبهِ هو الهيئةُ الحاصلةُ مِن الركونِ إلَى الشَّيء النافعِ الصالحِ بما يَضمنُ استبقاء النفعِ والصلاحِ، ويُحَقّق البناءَ والنمو.

ومجيء التشبيه التمثيلي في أعقابِ المعنى كَشَفَ حجبَ المعنى و"استثار له مِن أقاصي الأفئدةِ صبابة وكلفا"[١]؛ فشوقي لم يسق معناه غفلًا ساذَجا مرسلًا بل لَجأ إلى التصويرِ، وساقَ صورتَه مِن البيئةِ الزراعيةِ تلك البيئة المنتجة للحياة والأمل، مصوبًا سهامه إلى النباتِ رامزًا مِن خلال ذلك إلى أنّ الشبابَ هم مَنْ ينتجون حياةَ أوطانهم، ويوجدون طريقَ الاخضرارِ والازدهارِ، واختارَ شوقي مِن ربوعِ البيئةِ النباتية الريحان[٢]ممثلا به حال الشباب الذين يجمعون بين حُسن المظهر وطيب الجوهر وعموم النفع، فأَحكم نسج صورته وضاعف مِن تأثيرها.

---

١) ينظر أسرار البلاغة، للإمام عبد الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر،١١٥ ، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني –جدة.

٢) الرَّيْحَانُ أو حبق هو نبات عطري عشبي حولي ينتمي إلى الفصيلة الشفوية، يُستخدم في التزيين والطهي والعلاج ، تأخذ صبغة أزهار الرّيحان اللّون الأبيض أو الأرجوانيّ، وهي ذات رائحة عطرة مميزة، ويتراوح لون الأوراق بين اللون الأخضر و البنفسجي، وهو نبات عديد الفوائد طيب العطر، يراح له الانسان لطيب رائحته وجميل مظهره، وبديع فوائده، به يستدل على النمو والازدهار؛لأن الريحان يفضل الأماكن المشمسة، وتربة خصبة مزودة جيدًا بمواد عضوية وكمية وفيرة من المياه، يراجع موقع https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%A%D٨%٩D%١B%٨%D٨٦%٩D%٧A%٨AD%D

وشوقي علل مِن خلال التصوير في الشطر الثاني عن سببِ اهتزاز الوطن شوقًا إلى شبانه، وبتدبر التقابل بين الحرفين إلَى وعلى في قوله:(يَرفُ إلى) في الشطر الأول و(رِفَته على) في الشطر الثاني يَظْهَر المعنى المراد؛ حيث يَشْعرُ المتلقي مِن خلال قوله:(يَرفُ إلَى) بالغاية التي يهتز ويميل لها الوطن والطريق الموصل لبناء مجده، فإذا ما وصلَ وانتهى إليه استعلى واهتز زهوًا وفخرًا وعلوًّا لوجود هؤلاء الشباب، وهذا ما يدل عليه قوله:(رِفَته –على).

وشوقي بنَى مطلع قصيدته على التصوير الحي النابض بالحركة، وجَسّدت ذلك حركة الروض المتمايل المهتز في التشبيه التمثيلي، ويصاحب تلك الحركة صوتًا تألفه النفوس، وهو صوتُ حركة أعواد النبات وأغصان الشجر الأخضر المزدهر الذي يتمايل ويهتز، وتأتي الرائحة الطيبة وهي رائحة الريحان التي ترتاح لها النفوس، وجمع شوقي مع الصوت والحركة والرائحة حُسن المظهر وجميل الأثر الواقع على النفس إزاء ميل الروض اليانع إلَى نبات الريحان، فهي نباتات بديعة تتنوع ألوانها بين نباتات بيضاء وخضراء وبنفسجية في تناسقٍ بديع وترتيب عجيب، يَمْلأُ النواظرَ عجبًا، ويهز النفوس طربًا، ويُشحذ الهمم إلَى النظر إلى تلك الفئة التي يبني بها الوطن مجده وتقدّمه.

ولهذا البناء التركيبي لصورة شوقي حُسن الأثر في نفس المتلقي، فشوقي بصورته الحية المفعمة بتلك المُحَسّات عَزَفَ على أوتار الإقناع والتأثير بأثر تلك الفئة في بناء الوطن، وأنشدت صورته لحنًا بديعًا مطلعه (الشبابُ شريانُ الوطنِ وقلبه النابض للحياة).

وتكاتفت مع الصورة التشبيهية فِي بيان المعنى وتوجيهِ الوَعْي المجتمعيّ بتلك الفئة الاستعارةُ المكنية في (وطنُ يَرفُ) والتي جسدت الوطن في صورة حية، وناسب شاعرنا بين أجزاء صورته(يَرفُ– روض–

ريحانِـه) فجـاءَ بيتـه متماسـكَ الـنظمِ محكـم السـبك تعلـوه صـياغة بديعـة، وتضـافر مـع التصـوير البيـاني الموسـيقى الداخليـة؛ حيـث جنـاس الاشـتقاق الذي أبان عن تلازم الاهتزاز والشوق لمَن يُحدث التنعم والبهجة مِن النعم، وذلك بين (يرفُ– رِفتَه)، كما أحدثَ تكرار صوت الراء والفاء رنينًا موسيقيًّا بـديعًا، هـذا إلَـى جانـب التقابـل والتبـاين الـذي يُعـرب عـن عظـيم الشـوق والحنين، ويَرْمُز إلَى العمق الشعوري والنفسي بهذا الحنين وذلك بين (يَرفُ إلَى –رِفتَه على)، وآثر التعبير بالفعل المضارع (يرفُ) ليُبيِّنَ عن استمرارية في الشوق متجددة لا تنتهي، بينما التعبير بقوله:(رِفَته) في الشطر الثاني أَعْربَ عن اهتزاز قائم وحادث على الريحان.

هـم نَـظْـمُ حِلْيتِه وجَوْهَرُ عِقْـدِه والعِـقـدُ قيمتُه يـتـيمُ جُـمـانِـه

انتقل شوقي مِنْ صورة النبات إلَى صورة أخرى أحيا بها الوعْي المجتمعيّ بأهمية الشباب في بناء مَجْد الوطن وعُلُوّ شأنه، فصوَّر بُناة المجد الشباب وهم يَنْظمون ويُرْتّبون خطوات التقدم والتطور، ويَنْفردون ببناء مجد الوطن وعلو شأنه بين الدول مشكلين بهذا حجر الأساس في رفعته وتطور حضارته بما يظهر تفردّهم وتميّزهم لعظيم نفْعهم، بحال مَنْ يَنْظمُ جواهر عقد متميز متفرد في الجمال، فيُرتب حباته بعضها إلى بعض، ويُحسن نظمها، ويضع فيها الجوهرة اللؤلؤة المضيئة اللامعة التي تأخذ النواظر عجبًا، فيصنع بذلك أفضل الحُلى التي تتزين بها امرأة جميلة بما يظهر حُسنها وبديع جمالها، وذلك بجامع الهيئة الحاصلة مِن حسن التنظيم والترتيب بما يُظهر النفع والصلاح ويُحقق التمُّيز والتّفرد، وتلك استعارة تمثيلية تَرقّى شوقي في بناء مفرادتها؛ حيث جعل الشباب هم مَنْ ينظمون الحُلى أوّلًا، فَهُم المُتَحكّمون في ترتيبه ووجوده، ثم ترقَّى إلِى جوهر العقد فهم أصل العقد وحقيقته، ثم جعلهم اللؤلؤ اليتيم البرّاق اللامع الذي لا يُضاهيه شيء في الجمال.

وتظهر براعة شوقي في تناسب مفردات صورته؛ حيث ناسب بين الشباب وجوهر العقد ويتيم الجمان فجمعيهم تأنس النّفس بالنظر إليهم، ويستدعون للفؤاد صبابة وكلفًا؛ لما فيهم مِن بديع الصّنع وجميل المظهر وحُسن الأثر، وتلك أمور تظهر في العقد وفي يتيم الجمان، كما تظهر في مرحلة الشباب أيضًا، فهي مرحلة عمرية يظهر فيها قوة البنيان، ويكسوها الجمال والنشاط بما يجذب الأنظار، عبر النظم الكريم عن تلك المرحلة، فقال الله –سبحانه وبحمده– ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ **الروم: ٥٤** والقوة تستلزم النشاط والحيوية وجميل الأثر وغير ذلك،

ويظهر التّناسب جليًّا بين (نظم حليته– جوهر العقد–يتيم الجمان) وهذا يدلّ على إحكام الصّنعة.

والبيت رغم ظهور توظيف الصورة الاستعارية في بيان المعنى المراد والتي قد يَتَوهّم المتلقي أنّها تعالج الجانب الشكلي والظاهري فحسب، اعتمادًا على وادي التصوير وهو العقد والحُلى والزينة إلا أن فيه عمقَ معنى؛ فالشباب لا ينظمون حُلى لحياة ساذجة معدمة، بل لحياة يكسوها الجمال ويعلوها البهاء، فينظمون ما يُظهر حسنَها وبديع جمالها؛ فمستقرُ الجبلة الإنسانية أنّ إقدام المرأة على الحلى والتزين لايكون وهي تعيش في بؤس وضياع واندثار، وإنما تكون فِي رغد وترف ونماء وازدهار، فَلَمَّحَ مِن طرف خفي إلَى أنّ مصر بها العديد مِن مظاهر الجمال والثروات، والحضارات التي تُمكنها مِن التتويج بحُلى الكمال على عرش الأوطان، إذا ما أُحْسن نظم الحلى لها، فهي ليست معدمة بائسة بل تحتاج فحسب إلى

مَن يُبرز جمالها، وتكَاتفَت مع الصورة الاستعارية الكناية في بيان المعنى؛ حيث أومأ البيت إلى أهمية الشباب ودورهم المؤثر في رفعة الوطن.

وختم شوقي بيته بتذييل أعرب مِن خلاله عن سبب تميّز الشباب وتفرّدهم، فهم الجمان المُتَمِّم لجمال العقد والمتحكم في قيمته الغالية، وظف شوقي هذا التذييل في الإقناعِ البلاغيّ بالمعنى الذي قصده؛ ذاك أنّه وسيلة مِن وسائل التفنن في القول، يعمل على إقناع المتلقي وإثارة وجدانه، وتحريك عاطفته تجاه القصد.

ونَظْمُ شوقي في بيته يقوي ويقرر أهمية الشباب في بناء مجد الوطن، وذلك من خلال ذِكر المسند إليه (هم نظم حليته)، وفيه أيضًا زيادة إيضاح وانكشاف لقيمة الشباب في ذهن المتلقي، وهذا ما أعرب عنه الوصل في قوله:(وجوهر عقده).

يَـرجــو الربيعَ بهم ويـأْمـلُ دَولــةً مِــنْ حُـسْـنِه ومِن اعتدالِ زمانِـه

ما زال شاعرنا ممسكًا بريشة التصوير البياني؛ لبيان أهمية الشباب وحنين الوطن إليهم، فانتقل إلَى صورة تزدهر فيها الحياة وتتفتح الزهور، وتزهو الألوان في الكون، وتعود الأشجار إلَى التورق بعد أنْ واجهت أوراقها عواصف باردة ورياح شديدة، وأبان شوقي عن مراده مِن خلال استراتيجية الاستعارة التي خلقتْ عالمًا جديدًا، شخَّص فيه الوطن فصار يرجو ويأمل ويحيا؛ ليحقق الحرية، وتلك استعارة مكنية، كما جسَّد الحرية والعمل والازدهار بصورة الربيع الزاهي؛ فالاستعارةُ ترى "بها الجمادُ حيًّا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية،.... وإنْ شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون"[1]، وهنا يُلمِّح شوقي مِن طرف خفي إلى أمرين؛ أحدهما:أنّ الحقبة

١) ينظر أسرار البلاغة،٣٣.

التي يمر بها الوطن مِنْ شتاء بارد وغيوم ورعد–أعني الاحتلال– ستزول بإذن الله؛ ليشرق ربيع الحرية من جديد، والآخر: هو حتمية مواجهة هذا الشتاء والتصدي له حتى لا يطول زمانه ويمر مرورًا سريعًا، وذلك بفضل الشباب الذين يرجو بهم الوطن ربيعًا تتفتح فيه الآفاق، وتزدهر الحضارة.

والربيعُ الذي يرجوه الوطن هو ربيعُ الحرية الذي يحقق للوطن التقدم والرخاء؛ لذا حدد شوقي ملامحه، فهو ليس ربيعًا زخرفيًّا تتخدع فيه المظاهر، بل هُوَ ربيعٌ مكتمل اجتمع فيه الحُسن والاعتدال، حسنٌ قائمُ على التقدم والعمل والرخاء، واعتدالٌ مبني على العدل والإنصاف والرقي.

وُفِّقَ شوقي في اختيار صورة الربيع[١] في بثّ الوَعْي المجتمعيّ بأهمية العمل والعدل لحرية الوَطَن؛ لأنَّ الربيعَ فصلٌ يتساوى فيه فترة النهار والليل، فلوَّح إلَى أهمية العمل والجد وأثرهما في إخراج صورة ربيع مكتمل حسن، صلح فيه الباطن وحسن الظاهر.

وفي النظم التركيبي للبيت مَلمح جيد؛ حيث جاء نظمه دون تقديم أوتأخير في (يرجو الربيع بهم) فلم يقدم الجار والمجرور على العامل، ولم يقدم الجار والمجرور على المعمول؛ ليهمس في نفوس المتلقين بضرورة التكاتف بين فئات المجتمع؛ لتحقيق ربيع الحرية، فهو لم يَقْتَصِر علي الشبابِ وحدهم رجاء الوطن بل أخر الجار والمجرور؛ ليُدلل على أنّ

١) والربيع فصل يكون في يوم ٢١ مارس، وفيه تسقط أشعة الشمس عمودية على خط الاستواء، فيتعادل ميل أشعتها على نصفي الكرة، فيتساوى عليهما الليل والنهار، كما تتعادل فيهما الحرارة، وحينئذ يبدأ الربيع في نصف الكرة الشمالي والخريف في نصفها الجنوبي، ينظر قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، جودة حسنين جودة – فتحي محمد أبوعيانة، ٥٤، دار المعرفة الجامعية.

الشباب وحدهم لا يستطيعون إقَامَة دولة الربيع وإن كان لهم النصيب الأكبر في تحقيقها.

مَنْ غابَ مِنْهم لم يغِبْ عن سَمْعِه وضميرِه، وفؤادِه، ولسانِه

آثر شوقي التأكيد على ارتباط أبناء الوطن به وحنينهم إليه، فكرر ذكرهم في قوله:(مَنْ غابَ مِنهم) حيث عود الضمير في (مِنْهم) على شباب الوطن، رغم التصريح في البيت السابق والذي يسبقه وذلك في قوله: (يرجو الربيع بهم)، (هم نظم حليته)؛ وذلك لزيادة التقرير والإيضاح بارتباط الشبابِ بالوطن وحنينهم إليه وحنينه إليهم، وعبَّر شوقي عن حنين الغائبين مِن أبناءِ الوطنِ بالتواصل التام والارتباط رغم الغياب والبُعد، مؤثرًا في نظمه (غَابَ) دون (ترك)؛ ليُدلل على أنّ بُعْد بعض أبنائه عنه بسفرٍ وخروج مِن حدوده لم يكن بإرادتهم ورغبتهم، وإنما تدخلتْ عواملُ أخرى في هذا البعد، وهنا يومئ شوقي إلَى شدة تعلق وحب الشباب للوطن، ويَبثُ روح الحنين إلى تراب الوطن، ويُحيي قيمَ المواطنةِ داخل النفوس.

وآثَرَ شوقي حذفَ الوطن في سياق البعد والغياب، فحذف متعلق الفعل (غابَ) لأنه يتعدى بـ(عن) والتقدير: (مَن غابَ مِنهم عن الوطنِ)، كما لم يصرح بفاعل (يغبْ) والتقدير: (لم يغبْ الوطنُ)، فآثر الحذف وعدم التصريح؛ إيماءً إلى شدة الحنين والولاء والارتباط بالوطن، وأنه ماكان ينبغي لهم أنْ يغيبوا عنه، وليُعرب أنَّ غيابهم لم يكن بمحض رغبتهم فالأمر ليس اختياريًّا، ولينقلَ لنا مشاعر الحزن وألم الحسرة على هذا البعد.

وأبناءُ الوطن الذين غابوا لم يغبْ الوطن عنهم، بل عاشَ واستقر في نفوسهم، فهم دائمو الحنين إليه، ويظهر هذا الحب في سمعهم وضميرهم وفؤادهم ولسانهم، وهنا ترقَّى شوقي في رسم صورته وإيصال معناه مِن السمعِ ثم إلى الضميرِ ثم إلَى الفؤادِ ثم إلَى اللسانِ؛ فالمسافرُ دائمًا ما يرتبطُ سمْعه بكل ما يخصّ الوطن، مشتاقًا إلى سماع أخباره، وسمعه يتصل

بضميره الذي يتجه دائمًا نحو حماية الوطن والحفاظ عليه مِن الخيانة أو الغدر أو فعل ما من شأنه الإضرار به، فهو بذلك يسكنُ ويستقر في فؤاده فلا ينازعه شيء، ثم يأتي اللسانُ مبينًا ومعبّرًا عن هذا الحب والحنين في حديثه عن الوطن، والتمسك بتقاليده خارج حدوده، والظهور بمظهر يُعْرب عن حضارته الراقية، وبذلك يَظهرُ للمتلقي ترقّي شوقي مِن الخارج ثم إلى الداخل ثم إلى الخارج في صورةٍ بديعةٍ كشفتْ في جوانبها عن شدة حنين وارتباط الغائبين مِن أبناء الوطن بوطنهم، والسمعُ والضميرُ والفؤاد واللسان مجازٌ مرسل علاقته الجزئية، أبانَ عن سكونِ الوطنِ واستقراره في نفوس المصريين الغائبين عنه، وهنا يقف المتلقي على الالتفات في الضمير مِن الجمع إلَى المفرد وذلك في قوله:(مَن غابَ مِنهم لم يغبْ عن سمعه وضميره وفؤاده ولسانه)، فعدل مِن ضميرِ الجمع في (مِنْهم) إلَى ضمير المفردِ في المدركات الحسية؛ للدلالة على توحد موقف الغائبين تجاه الوطن، فلما توحد المعنى الذي قصده شوقي في جموع الغائبين عاملهم معاملة الفرد الواحد، فجميعهم يتفقون في استقرار الوطن في نفوسهم فكانوا كالفرد الواحد.

وشوقي جمع في بيته بينَ مشهدين متقابلين، أَسْهمَ من خلال الطباق بالسلبِ بينَ الفعلين (غابَ –لم يغبْ) عن شدة ارتباطِ الشباب الغائبين بالوطن وحنينهم إليه؛ حيث مشهد الغياب عن الوطن في قوله: (مَنْ غاب مِنهم) ومشهد حضور الوطن واستقراره في نفوسهم وجوارحهم(لم يغبْ عن سمعه) مُعبّرًا بهذا عن المواطنةِ في نفوس أبنائه المُقيمين خارج أراضيه، وموجِّهًا الوعْي بإحياء المواطنة في نفوس أبنائه المُقِيمِين على أرضه.

والارتباط والحنين لم يكن مِن جانب أبناء الوطن الغائبين فحسب بل الوطن ذاته يستشرف رجوعهم، ويحن إليهم، ويجد ريحهم ويتعرف عليهم دون ماعداهم، عَبَّر شوقي عن هذا الحنين برسم معاني الوطنية في صورة حية نقلت مشاعر الشوق والحنين من الوطن لأبنائه حيث قال:

وإذا أَتـاه مـبـشِّـر بـقـدومِـهـم فـمِـنْ الـقـميصِ ومِنْ شَـذَى أَرْدانِـه[1]

فمبجرد التبشير بقدومهم تستشرفُ نفسه وتتهلل لمعرفتهم وتميزهم عن غيرهم مِن القادمين إلى أراضي الوطن، وهنا شَخَّصَ شوقي الوطن مستخدمًا الاستعارة المكنية في إضفاء الحياة على ذلك الفؤاد المُستكين الذي يرجو الربيعَ والأملَ مِن أبنائه في الداخل والخارج، فصَوَّره بصورة شخص يعرف أحبَّائه مِن رائحة ملابسهم، وتلك صورة عالية صاغها شوقي في قالبِ الشرط المُصَدَّر بإذا للدلالة على تحققِ وقوع جواب الشرط وتأكيده؛ فإذا تشير إلى تحقق يقيني، وجواب الشرط(فمن القميص ومن شذى أردانه) ومتعلق الجواب محذوف تقديره (عرفهم) أي: عرفهم وميّزهم عمّا سواهم.

ومعرفةُ الوطن لأبنائه المبشر بقدومهم مِن القميص اقتباسٌ من قصة يوسف- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ يوسف: ٩٢** ؛ حيث خصّ شوقي مِن الملابس القميص، وهذا يَبثُّ في وعي المتلقي احتياج الوطنِ إلى أبنائه في الخارج، فهو بدونهم في ظلامٍ دامس حاله في هذا حال سيدنا يعقوب الذي غابَ عنه نور بصره، وارتَدَّ بإلقاء قميص سيدنا يوسف على عينيه، فكأنّ الغائبين سلبوا عن الوطنِ جزءًا مِن بصره يَعودُ بعودتهم، وهذا الاقتباس رَمَى شوقي مِن خلاله إلى شدة الشوقِ والحنينِ مِن الوطن لهؤلاء الغائبين.

ومعرفةُ الوطنِ لأبنائه القادمين مِن القميص ومِن شذى أردانه كناية عن صفة أَعْرَبت عن تفرّد الصناعةِ الوطنيةِ المصرية في القطن والنسيج،

---

١) الرُّدْنُ بِالضَّمِّ :أَصل الكُمّ. يُقَالُ: قَمِيصٌ وَاسِعُ الرُّدْن، وَقِيلَ :هُوَ أَسفله، وَقِيلَ :هُوَ الْكُمُّ كُلُّهُ، وَالْجَمْعُ أَرْدانٌ وأَرْدِنَة، لسان العرب، مادة (ر، د، ن).

وريادةِ الوطن في زراعة القطن عن غيره مِن الأوطان؛ ذاك أنه يَتمتّعُ برائحة تُمَيّزه عن غيره، واستُفيدت الكناية من الاستعارة المكنية في (شذى أردانه)؛ فكأن أردان القادم مسك يميّزه شذاه وعبيرُه المتميز، وبالَغَ شوقي وغلا غلوًّا مقبولًا فِي تعرف الوطن على أبنائه من شذى أردانهم؛ حيث تَضَمَّن السياقُ صورةً تخيليةً رَمَى مِن خلالها إلَى انفراد القطن المصري.

وشاعرنا تدلَّى فِي بيان ملامح تَعَرُّف الوطن على أبنائه القادمين إليه، فبدأ بالقميص ثم شذى الأردان، فأَعْرَب عن شدةِ الشوقِ والارتباط وتمييز الوطن لأبنائه.

ولقد يخُصُّ النافعينَ بعطفِه كالشيخِ خَصَّ نجيبَه بجنانِه

نَظَّمَ شوقي معناه محققًا متيقنًا الوقوع وذلك باستخدام أسلوب القسم وهو إنشاء غير طلبي، جيء بقد فِي جوابه لإفادةِ التحقيقِ والتأكيد بوقوع المقسم عليه؛ ذاك"قلت إنما كان كذلك لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيدًا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة التوقع الذي هو معنى(قد) عند استماع المخاطب كلمة القسم"[1]، فوقوعُ (قد) في جواب القسم المدلول عليه بواو القسم ولام القسم في قوله:(ولقد) ودخولها على الفعل المضارع (يخصّ) أفادَ التحقيق والتأكيد؛ ذكر ابن عاشور" وَدُخُولُ قَدْ عَلَّى الْمُضَارِعِ لَا يُخْرِجُهَا عَنْ مَعْنَى التَّحْقِيقِ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ العَرَبِيَّةِ، وَأَنَّ مَا تَوَهَّمُوهُ مِنَ التَّقْلِيلِ إِنَّمَا دَلَّ عَلَيْهِ المَقَامُ فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ

١) ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، ١١٣/٢دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ –١٩٨٧م.

لَا مِنْ دَلَالَةِ قَدْ، وَمِثْلُهُ إِفَادَةُ التَّكْثِير"[1]، والمقامُ هنا في نظم شوقي لا يُبْنَى على التقليلِ والتشكيك بل على تحقيقِ عناية الوطن بأبنائه النافعين البارين به، حُماة أرضه المرابطين على مجده وشرفه.

واختصاصُ أبناء الوطن النافعين بالعطف والعناية في قوله:(ولقد يخصُّ النافعين بعطفِه) كناية عن صفة أشارَ شوقي مِن خلالها إلى حُسن تقدير الوطن وإثابته لهم، حيث يخلد التاريخ ذكرهم في سماء عليائه، وقوله: (بعطفِه) مجاز مرسل علاقته السببية، أطلقَ السببَ وهو العطف وأرادَ المسببَ عنه وهو خلودُ الأثر والرفعة وعلو الشأنِ والمكانةِ، وَعَلّ تَخْصِيص شوقي للنافعين بالذكر دَلِيلٌ على أنّ مَنْ يعش فِي الوطن أو يتركه دون أنْ يُقدم له نفعًا لا يُعدّ مِن أبنائه البارين به المستحقين عطْفه وحنانه، وهنا يُوجه الشّاعر وعْي فئة مِن أبناءِ الوطنِ وهم الساخطون عليه، الجاحدون فضله وأثره عليهم، المتكاسلون عن العمل ينتظرون العطفَ والرعايةَ وهم لم يقدموا له شيئًا، فأَعْرب شوقي وأومأ إلى أهمية العملِ والجِدّ في الحصول على عطفِ الوطن وذلك في قوله:(النافعين).

وشوقي مع إحياء الوطن وتشخيصه في صورة حية مِن خلال الاستعارة المكنية في قوله:(ولقد يخصُّ) نَظمَ صورة تمثيلية عُقِدت مِن التشبيه التمثيلي فازداد المعنى وضوحًا وتبيانًا لدى المتلقي وذلك في قوله:(كالشيخ خصّ نجيبَه بجنانِه)، فحالُ الوطن في عمومِ فضله لجميع أبنائه واختصاص عطفه وحنوه بأبنائه البارين به الحريصين على مجده وعلو رايته يُقدّمون له التضحيات، ويعملون على رفعته، فما يكون منه إلا

---

١) ينظر التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن عاشور، ٢٩٤/٢١، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ .

أنْ يختصّهم بمزيد الفضل وعلو المكانة، وتخليد أسمائهم في تاريخه، كحال الشيخ الذي يُقدّم علمه وفضله لكل تلاميذه والوافدين عليه، ولكنه يخصّ النجباءَ الأوفياء البارين بعلمه بجميل عطفه وعنايته وجنانِه، تلك الجنان التي يَقْطفُ منها النجباءُ ثمار جهد الشيخ، ويَنْعَمون بخلاصةِ تجاربه، وعظيم علمه، فيختصون بمزيد مِن المزيةِ والفضل بين باقي التلاميذ، وذكرُ أداة التشبيه في صورة شوقي؛ لتقريب المعنى في صورةٍ حسيةٍ تُبِين عن مقصد الشاعر.

وَعلَّ شوقي في بيته يشير إلى مكانةِ أبناء الوطن المكرَّمين في حفل تكريم فندق شِبْرِد[١]، أصحاب المواقف الوطنية، ليوجه وَعْي الشباب إلى أنموذجٍ حيٍّ يُحتذى به للحصول على عطف الوطن وجنانه، وهنا تظهر للمتلقي علاقةُ مقصد القصيدة بالمناسبة التي قيلت فيها؛ حيث ربط شوقي ربطًا بديعًا بين مناسبة القصيدة ومقصدها، فقد بدأها بنداء واشتياق الوطن لقوته البناءة الفعالة الرافضة الذل والانكسار، وعرض لأثر الشباب في بناء أوطانهم، فهم مَن ضحَّوا بأرواحهم فداء أمْنه وراحته، وهم مَنْ ذاعوا حضارته وتقدُّمه بين الشعوب الأخري في هجرتهم بالخارج؛ لذا خصهم الوطن بعطفه وحنانه، ورفع أسماءَهم مخلدة في سماء عليائه، مناديًا عليهم ومُردِّدًا لحقّهم عليه، ومِنْ هؤلاء المؤثّرين في حياة الوطن مَنْ نُسِجتْ القصيدة أثناء تكريمهم بفندق شِبْرد، ليُعلن شوقي من خلالِ مناسبة القصيدة أنّ هذه النماذج المشرفة المضيئة اللامعة في عليائه، المستحقة للتكريم هم بناةُ الوطن الذين يهفو الوطن إليهم، وهم مَنْ ينعم الوطن في وجودهم بالرخاء والنماء.

١) تقدم ذكرهم في مناسبة القصيدة في التمهيد .

وشاعرنا في بيته يهمس إلى مُكَوّن معرفي مِن مكوّنات الوعْي المجتمعيّ الذي يُشكل حجر الأساس في توجيه وتكوينِ عقول الشباب وهو مجالسة الشيوخ، للتزود مِنْ فيض عطائهم وعظيم نفعهم.

وتكرارُ صوت النون والجيم في(نجيبَه –جنانِه) أحدث جرسًا موسيقيًّا أعْرَبَ عن تلازُم الجنان للنجيب، فمَنْ يعمل ويكِدّ ويجتهد ويكون مِن النجباء الفضلاء يَنْعمُ بالجنان ويهنأ فيها.

هيهات ينْسَى بذْلَهم أرواحَهم فِي حفظِ راحتِه وجَلْب أمانِه

أمعنَ شوقي في عظيم عطاء الوطن لأبنائه البارين فأبعد عن الوطن مظنةَ نسيان تضحيات أبنائه، ونُكران كل ما قدموه وبذلوه مِن غالٍ ونفيس في سبيلِ حفظ راحته واستدعاء الأمن لأراضيه، واسْتَعان شوقي في إيصال معناه بالتصويرِ البياني؛ حيث شخّصَ الوطنَ في صورة حية مِنْ خلال الاستعارةِ المكنية في قوله:(يَنْسَى)، كما جَسَّد الروحَ في صورة مادية تُبذل من خلال ريشة الاستعارة في قوله:(بذلهم أرواحهم)، وبَذْلُ الروحِ والجودُ بالنفس هو أوج السخاء، وهو معنى قديم تحدَّث فيه كثير مِن الشعراء، مِن ذلك قول أبي فراس الحمداني:

ونـدعو كـريـمًا يجـودُ بمالـه ومَـنْ يَـبذلُ النـفـسَ النفيسةَ أكـرمُ[1]

فبذلُ الروح هو أغلى ما يمكن أنْ يقدمه المرء؛ لذا لا يُبذل إلا لمَن يستحق، وهنا يُحيي شوقي قيمةً وطنيةً عالية لا تتوفر إلا في أبناءِ الوطنِ البارين به.

---

١) ديوان أبي فراس الحمداني، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه (٣٠٠–هـ–٣٧٠هـ)، عني بجمعه ونشره وتعليق حواشيه سامي الدهان، ٦٦٥، بيروت، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.

وعلَّ شوقي بدأ هنا بالتلميح إلى القضيةِ التي تشكل حجر الأساس في المجتمع المصري آنذاك، وهي الاحتلالُ الذي سلب الوطن أمْنه وراحته، وجعل أرضه مستباحة تطؤها أقدام الاستعمار، وهذا ما يستشعره المتلقي عند الوقوف على قول الشاعر:(بَذْلهم أرواحهم في حفظِ راحتِه وجلب أمانه)، فالمسلوبُ لما كان غاليًا أُحْتِيج في إعادته وجَلبِه إلى أغلى ما لدى المصريين الأوفياء وهو الروح، وهنا يُلَمّح شوقي مِن طرفٍ خفي إلى أهمية الحرب والجهاد، حيث يَطْرقُ بابَ الوعي بأن القتال خير سبيل لإعادة الوطن المغتصب وجلب الحرية والكرامة.

وتبدو جلية للمتلقي بلاغةُ خِطَاب شاعرنا في بيان مراده؛ حيث تَمْتدُّ الصورة الاستعارية لترسمَ معانى الجهد والمشقة والعمل الذي هو أولى بالعناية والاهتمام لإعادة نسيم الحرية والأمن وذلك مِن خلال الاستعارة المكنية في قوله:(في حفظِ راحته وجلبِ أمانِه) فالراحةُ شيء مادي يُحفظ، والأمن يُجلب ويُستدعى، وتَظهرُ براعةُ شوقي في الإبانة عن معانيه من خلال بلاغةِ انتخاب ألفاظه حيث التعبير بـ(جلب أمانه)؛ ليشير إلى أنّ الوطن تحت وطأة الذل والمهانة يدوسه الاستعمار؛ لذا فهو في حاجة إلى بَذْلِ الروح للجلب بقوة وانتزاع واستدعاء لأمانه، فالأمانُ يُسترد بقوة ويؤخذ ويُعمل علي كسبه واستعادته بعد ضياعه، ولفظ (جلب) فيه تصوير حيّ للحركة والسعي والعمل للظفر بالمراد.

وقَفُوا لـه دُونَ الزمانِ ورَيْبِه ومشَتْ حَداثتُهم على حَدَثانِه[١]
فِي شدّةٍ نُقِلَتْ أناةُ كُهولِه فيها، وحكمتُهم إلَى فِتيانِه

١) الأناة: الحِلْم والوقار؛ يُقال: إنه لذو أَناة ورفق، القاموس المحيط(باب الواو والياء، فصل الهمزة) // والكَهْلُ :كهُل الشّخصُ صار كَهْلاً، جاوز سنّ الشَّباب ولم يصل سنّ الشيخوخة ، لسان العرب، مادة (ك، ه، ل).

ما زال شاعرنا يُبينُ عن أسباب حنين الوطن وشوقه إلَى قوته الفاعلة المؤثرة، فقد تصدوا للزمان وصروفه مِنْ النيل مِن وطنهم الغالي، وهنا جاءتْ الاستعارةُ التبعية في لفظِ الشاعر(وقفوا) تُصوّرُ حالَ هؤلاء الأبناء وهم يمنعون الزمان ونوائبه، ويحيلون بينها وبين الوطن، في صورةِ الوقوف والتصدي والحماية لما يتعرض له الوطن، وعطفُ (رَيْب)على(الزمانِ) من قبيل عطف الخاص على العام؛ فالزمانُ عام يَشْمَلُ النوائبَ وغيرها، وآثر شوقي هذا العطف؛ ليُعْربَ عن بالغ عناية واهتمام أبناء الوطن البارين به.

تَرَقَّى شوقي في بيان تصدي الشبابِ لصروف الدهر ؛ حيث جعلهم أوّلا يقفون في وجهه مانعين نوائبه مِن النيلِ مِن الوطن، ثم جعلهم يتجاوزن تلك النوائب ويمشون عليها متخذين منها ممرًّا يمرون عليه مستعلين غير مكترثين بها؛ لقوتهم وشجاعتهم وصمودهم في وجه الظلم، وهذا ما دلت عليه الاستعارة التبعية فِي حرف الجر (على) فِي قوله:(ومشتْ حداثتُهم على حَدَثانه)، كذلك فَي إسناد المشي إلَى حداثتهم مجاز عقلي علاقته السببية، أَعْرَب عن أثرِ الشبابِ في عبور أنفاق الظلم وتقلبات الزمان وتحمل نوائبه وتجاوزها.

ولما كانت عنايةُ شوقي وولعه بالشباب ودعوته إلَى أثرهم الفعال في استعادة مجد الوطن جليةً للمتلقي من أول القصيدة، أبانَ عن دور الكهول مع الشباب في رفعة الوطن، راميًا إلى حُسن الخبرة في إدارة الأمور، فقد ساندوا وعاونوا الشباب في الوقوفِ حيال الشدائد والصروف.

والشدةُ في قوله:(فِي شدةٍ) كناية عن محنةِ الظلم والاستعمار وسلب الحرية والكرامة، وتُعْربُ الاستعارةُ التبعية فِي حرف الجر (فِي) عن صورة تلك الشدة التي تلبَّسَ بها الوطن؛ حيث أبانتْ الظرفية عن إحكام سيطرة تلك الشدة على الوطن وتمكّنها منه؛ لذا استدعى التغلب عليها نقل حكمة الكهول إلى قادةِ الوطن وريحانه، الجالبين لحريته وذلك فِي قوله: (فِي شدة

نُقلت أناةُ كهوله وحكمتُهم إلى فتيانه)، وشاعرنا جعل الحلمَ والحكمة شيئًا ماديًّا نُقِل من الكهول إلى الشباب، وتلك استعارة مكنية أبانت عن مقومات التصدي للعدو، ورسمت ملامحَ طريق الانتصار عليه، وذلك بالجمع بينَ الشجاعة والإقدام والأناة وبراعة اتخاذ القرار وحسن إدارة الأمور، وهنا يُحيي شوقي قيمةً عاليةً مِن قيم المواطنة في النفوس وهي التكاتف والتعاون للوقوف أمام تداعيات الزمان وصروفه.

وآثر الشاعرُ التعبير بالفعل الماضي رغم أنّه يحثّهم على الوقوف حيال تلك المحنة؛ للدلالة على تحققِ وقوع الحرية وجلبِ الأمان، وتجاوز تلك النائبة إذا ما تَكَاتف الجميعُ الكهول والشباب، ووقفوا إزاء بعضهم البعض، فصوَّر الأمرَ غير الواقع بالواقع المنتهي؛ للدلالة على تحقّق وقوعه، وليبثّ في نفوس متلقّيه أنّ التعاونَ والتكاتفَ للوقوف إزاء الغادرين والمغتصبين يَجْلَب الأمنَ ويحفظ الراحة لا محالة.

المبحث الثاني

روافدُ التوعيةِ المجتمعيةِ وآلياتُ عملها بما يحققُ الحريةَ و التطورَ.

قُمْ يا خطيبَ الجمعِ، هاتِ مِنْ الحُلى ... ما كنتَ تَنثرُه على آذانِه

فلطالما أبدَى الحنينَ لقسِّه ... واهتزَّ أشواقًا إلَى سَحْبانِه

نادِ الشبابَ، فلم يزَلْ لك ناديًا ... والمرءُ ذو أثَرٍ على أخْدانِه

أمْدُدْ حُداءَك فِي النَّجائبِ تَنْصرِفْ ... بهَوَى أعنَّتِهَا إلَى تَحْنانِه

ألْقِ النصيحةَ غيرَ هائبِ وَقْعِها ... ليس الشجاعُ الرأْي مثلَ جبانِه

قُلْ للشباب: زمانُكم مُتحرِّكٌ ... هل تأخذون القسطَ مِنْ دَوَرانِه؟

قُمتم على الأحلامِ تَلْتَزِمُونَها ... كالعالِمِ الخالي على أوثانِه

وتُنازِعونَ الحيَّ فَضْلَ ثِيابه ... والميْتَ ما قد رثَّ مِنْ أكفانِه

ولقد صَدَقتم هذه الأرضَ الهوَى ... والحرُّ يَصْدُقُ فَي هوَى أوطانِه

أملٌ بَذَلْتم كلَّ غالٍ دُونَه ... وفَقدتمُ ما عزَّ فِي وجدانِه

الليثُ يَدْفَعُكم بشدَّةِ بَأْسِه ... عنه، ويُطْعِمُكم بفَرْطِ لِبانِه

ويُريدُ هذا الطيرَ حرًّا مطلقًا ... لكن بأَعْيُنِه وفِي بُستانِه

يَتَوجه شوقي هنا إلَى منابع التوعيةِ المجتمعيةِ ومكونات تشكيل الوَعي الوطني، فَبَدَأَ بدورِ الخطباء مقررًا ومؤكدًا أثر الخطابِ المؤثر والكلمة الصادقة في تحريكِ الشعوب وتغيير مسار الأحداث، ملْقِيًا بنظمه الضوء على الخطيبِ صاحب الدور المحوري في التوجيه والتأثير، مُعربًا عن مسؤوليته في توجيه الرأي العام، وبثّ الوعْي المجتمعيّ، وحشد الشعب من أجلِ القضية الوطنية بما يُشعلُ الحماس، ويُوجه طاقات أبناء الوطن لتحقيقِ أهدافه.

فقامَ شوقي ينادي خطيبَ الجمع طالبًا منه علي سبيل النّصح والإرشاد، مستنهضًا همّته لتزويد أبناء الوطن بالدروس والقيم والعظات التي مِن شأنها إحياء قِيَم المواطنة وبثّ الوَعْي فِي نفوسهم، فقال:

قُمْ يا خطيبَ الجمعِ، هاتِ مِنْ الحُلى ما كنتَ تَنْثُرُه على آذانِه[١]

ونادى شوقي الخطيب بـ(يا) للدلالةِ على عُلُوّ مكانته وخطورة تأثيره، مُنَزِّلًا البعد المعنوي منزلة البعد الحسي، ويُلمِّح شوقي إلى خطورةِ الكلمة وقدرتها على تحريكِ الشعب وتغييرِ الواقع وذلك في قوله:(هات مِن الحُلى) وتلك استعارة تصريحية أصلية أَعْربت عن مكانة الخُطبِ وأثرها فِي التأثير على المسامع، فهي تَسْتَميلُ المسامع كالحُلى تَلفتْ الأنظار، وشاعرنا رغم مكانة الخطبِ وأثرها استعارَ لها الحُلى التي يُتزين بها، والتزينُ ليس مكونًا رئيسًا، وخطبُ الخطيب تُشَكِّل مكونًا معرفيًا ووطنيًا رئيسًا لدى أبناء الوطن، فهي ذات أثر جلل على عقلِ وقلب كل فرد في المجتمع، فكان أولى له أنْ ينسجَ استعارته مِن وادٍ آخر غير الحُلى.

وناسبَ شوقي بين مفردات نظمه وأَحْكَم نسجه بقوله:(تنثره) والنثرُ يناسبُ الحلى، فأحدث هذا التناسب تماسكًا نصّيًّا، وبَيْن دفتي البيت تشبيه ضمني شَبَّه فيه شوقي الخطيب وهو يُلقي بخطبه الرنّانة وكلماته المؤثرة على مسامع وآذان أبناء الوطن فتُقوّي عزيمتهم، وتُشْحذُ همتهم ورغبتهم في البناء والتطور، بحال مَنْ يَنْثرُ الحُلى والجواهر الثمينة والجميلة فِي كلّ مكان؛ لينشرَ الجمال، ويشيع البهجة، ويبرز الحسن والبهاء بما يلفت الأنظار، ويَستميل القلوب، وعلَّ شاعرنا عمدَ إلى ما بين الخطيب وناثر الحُلى مِنْ وجه الشبه القائم على شيوع الجمال والبهاء الذي يَأَخُذ النواظر عجبًا، ويَسْتَمِيلُ القلوب طربًا، ويشحذ الهمم فتَنْطَاعُ القلوب والعقول إلى

١) في طبعة دار الكتاب العربي بيروت تحقيق د.محمد حسنين هيكل (تنثره)، وفي طبعة مؤسسة هنداوي (تنشره) والأقرب رحم للمعنى طبعة دار الكتاب العربي؛ لتناسبها مع النظم ولدلالتها على إحكام الصياغة؛ حيث تتلاءم مع الحُلى.

الجمالِ الكامنِ في العِبَرِ والعظات داخل الخطب، كما تَنْطَاعُ النفوس إلى الضياء والبهاء الصادر من اللآلئ والحُلى.

وتقيد الخطيب بـ(الجمع) إشارةٌ إلى تمكنه وتبحره وسعةِ علمه، حتى صار خطيبًا للجمع يرتضيه كثير مِن الناس على اختلاف ثقافاتهم وبيئاتهم، وقد يتخيلُ العقل أنّ المراد بخطيب الجمع هنا خطيب الجمعة؛ لأنها الصلاة التي يجتمعُ فيها أكبر عدد من المسلمين عن غيرها فيرمي شاعرنا بذلك إلى دور المساجد في إحياءِ الوعي والمواطنة، والأوّلُ أعمُّ وأشملُ.

وقوله:(آذانه) استعارة مكنية شُخِّص فيها الوطن بكائن حي له آذان تستمعُ فيستجيب، والمقصود بالآذان هنا مسامع أبناء الوطن الذين يسمعون الخطبَ، ويستجيبون لما فيها مِن معان وقِيَم جليلة، والاستعارةُ أضفت قوةً وعمقًا وإيحاءً في النظم؛ حيث خلقتْ صورةً ذهنيةً جديدة تخيل فيها المتلقي الخطيب وهو يُلقي خطبه على الوطن، والوطن منصتٌ راغبٌ مهتمٌ متفاعل مع الخطاب المُلقَى عليه، وفي لفظ (آذانه) أيضا مجازمرسل علاقته الآلية، فالأذنُ آلة السمع والإنصات، وفي هذا إيحاء بقوة التأثير، والتعبير بصيغة الجمع (آذان) أَعْرَبت عن مقصد الشاعر؛ حيث قصد مسامع أبناء الوطن الذين هم قطعة من روحه، فكأن آذانَهم جميعًا آذانُه.

وآثر شاعرنا التعبيرَ بالفعل الماض في قوله:(ما كنت تنثره)؛ للدلالةِ على ركود دور الخطباء في نشر الوَعي والمعرفة، الأمر الذي دعا إلى إثارةِ هذا المكون مرةً أخرى لأهميته وعظيمِ أثره.

فلطالما أبدَى الحنينَ لقسِّه واهتزَّ أشواقًا إلَى سَحْبانِه

يُبينُ شوقي هنا عن سببِ دعوته إلَى الخطيبِ بإلقاء الخطب المؤثرة، ويُحددُ معالمَ الخطيب الذي يؤثر فِي الجمعِ، ويُغَير اتجاه العقولِ إلَى ما فيه نفع وصلاحٍ، فربطَ بينَ بيته والبيت السابق بفاءِ السببية مُعلِّلًا طلبه مِنْ الخطيبِ فِي البيت السابق بنثر الخطب البليغة التي تبثّ الوعي وتحرك

العقولِ والقلوبِ، فأحدث بهذا تماسكًا نصّيًّا بين البيتين وأفرغهما فِي قالبِ واحد، فالخطيبُ الذي يؤثّر فِي الجمع هو مَنْ يَمتلكُ بلاغةَ وحكمةَ قسّ بن ساعدة الأيادي[١] المشار إليه في الكناية عن موصوف في قوله:(لقسّه)، ومَنْ يمتلكُ فصاحةَ وحُسن بيان سَحبان وائل[٢]، خطيبُ الدنيا والعرب والعجم، المشار إليه في الكناية عن موصوف في قوله:(سحبانه).

وشوقي هنا يومئ مِن طرف خفي إلَى ضعف الخطباء المُتَواجِدِين على الساحةِ المصرية، فلا يؤثّرون بأساليبهم، ولا يمتلكون حُسن البيان، وهذا ما يستشعره المتلقي في قوله:(فلطالما أبدى الحنين – واهتز أشواقًا) فالحنينُ والشوقُ يُعربان عَن فراق طويل أحْدَثَ نوعًا من الاشتياق إلَى الخطباء الفاعلين، ودورهم المؤثّر فِي بناء وعي أبناء الوطن.

واللام في قوله: (فلطالما) لام توكيد لتقويةِ الدلالة على طول الحنين إلى مَنْ يُوَجّه عقل وقلب الشباب، وأضفى شوقي على بيته الحياة فجسَّد الشوقَ والحنين في صورة مادية يُبديها الوطن ويهتز إليها، وذلك مِنْ خلال

---

١) **قس بن سَاعِدَة** بن عَمْرو الْإِيَادِي خطيب الْعَرَب وشاعرها وحكيمها وحليمها فِي عصره وَهُوَ أول مَنْ علا على شرف وخطب عَلَيْهِ وَأول من اتكأ فِي خطبَته على سيف أَو عَصا وَأول من قَالَ فِي كَلَامه أما بعد، ينظر الوافي بالوفيات صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى،١٨٠/٢٤، دار إحياء التراث – بيروت،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢) **سَحْبان وَائِل** هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي(...-٥٤هـ=...-٦٧٤م)، من باهلة، خطيب يضرب به المثل في البيان يقال: (أخطب من سحبان) و (أفصح من سحبان)، اشتهر في الجاهلية وعاش زمنا في الإسلام، وكان إذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة، ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ، أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به، ينظر الأعلام خير الدين الزركلي الدمشقي ، ٧٩/٣، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

نسيجِ الاستعارة المكنية التي خلقت عالمًا جديدًا، كما شُخَّص الوطن في صورة كائن حي يبدي شوقه إلى هؤلاء الخطباء المؤثِّرين في بناء مجده، والصورةُ المغزولة مِن نسيج الاستعارة تَعْلُوها الحركة، وتُسيطر عليها نغمة الحزن على ما آل إليه حال الخطباء، ويتخللها الشوق والحنين إلَى ما يحرك أبناء الوطن لإعادة شرفه ومجده.

أَرْسَى شوقي في أبياته وحدد آليات بثّ الخطيب الوَعْي المجتمعيّ في خُطَبِه لأبناء الوطن، وهي كالتالي:

١-تحديدُ الفئة المعنيّةِ بتوجيه الخطابِ بما يُحقق أملَ الوطن في التقدُّم والبناء.

٢-الإخلاصُ والشجاعةُ في توجيه النُّصح والوعْي.

٣-إثارةُ الوعْي بمواجهةِ القضيةِ القائمة ونقْض المزاعم الباطلة.

٤-الحثُّ على استنهاض الهِمَم واستمالةِ القلوب بمواجهة الواقع الأليم الذي يتجرعه الوطن وأبنائه.

وفيما يلي بيان لتلك الآليات:

١- **تحديدُ الفئة المعنيّةِ بتوجيه الخطابِ بما يُحقق أملَ الوطن في التقدُّم والبناء،** وذلك في قوله:

نـادِ الـشـبـابَ، فـلـم يزَلْ لك ناديًـا والـمـرءُ ذو أثَـرٍ على أخْـدانِـه[١]

هنا يُبين شوقي الفئة المستهدفة لتحمُّل قضايا الوطن والدفاع عنه، فطلب شوقي مِن الخطيب على سبيل النصح والإرشاد أنْ يوجه نداءه وخطبه إلَى الشباب المعول عليهم بالبناء والتنمية، وعلَّل شوقي لذلك بفاء التعليل التي ربطت بين أجزاء نظْمه فأحدثتْ قوةَ التماسك، وأبانت عن سبب

١) الخِدْنُ والخَدِين: الصديقُ، وفي المحكم: الصاحبُ المُحدِّثُ، والجمع أَخْدانٌ وخُدَناء، لسان العرب، مادة (خ، د، ن).

تخصيص تلك الفئة بالنداء والخطب، وهذا يُكسب الكلام قوة إقناع وفضْل بيان، فالشبابُ لم يزل مُناديًا للخطباء، طالبًا منهم العِبَر والعظات، مستشرفًا المعرفة والفهم والوعي للدفاعِ عن الوطن، وبناء مجده.

وبين (نادِ وناديًا) جناس ناقص أحدث نوعًا من الانسجام بين طرفي الشطر الأول في البيت، وكشف عمَّن ينادَى، فلاينادَى إلا مَنْ كان ناديًا، طالبًا للمعرفة، مُسْتعدًّا للتلقِّي، لم يُبْعِده بعد ضلالة التعصب دون فهم، وكان لشوقي أن يختار لفظ (نديًّا) بدلا مِن (ناديًا)؛ ليُعْرب مِن خلال نديًّا عن طيبِ المنبع ونقائه، وأنّه صالح للزرع والإثمار، فلم يزل غضًّا طريًّا نديًّا بعد، ولفظ نديًّا يَحْملُ جرسًا موسيقيًّا أيضًا، ويُبين عن التلازم بين ناد ونديًّا، فلا يُنادَى إلا مَنْ كان نديًّا قابلًا للتّوجيه والغرس، فضلًا عن كون لفظ نديًّا يحمل بين طياته حُسْن تصوير لتلك الفئة بالنبات الأخضر الندِيّ الذي لا يَجلب إلا الخير إذا ما اعتُنِيَ به، وعلَّ شاعرنا عدَلَ عن نديًّا إلَى ناديًا؛ ليُبَيِّن نضجَ الشباب وطلبهم للمعرفة والوعي بقضايا وطنهم.

وذَيَّل شوقي بيتَه بتعليل آخر قَوَّى وأَكَّدَ المَعْنَى المراد وذلك في قوله:(والمرءُ ذو أثر على أخدانه) مبيّنًا دَوْر الشباب في نشْر الوعْي، وتوجيه الرأي، فلهم عظيمُ الأثر على أخدانهم بما يخلق مجتمعًا واعيًا داعمًا للوطن، ومدافعا عنه، وساعيًا إلى تطوره.

اُمْدُدْ حُداءَك فِي النَّجائبِ تَنْصرِفْ بهَوَى أعنَّتِهَا إلَى تَحْنانِه[1]

---

١) الحداء: الغناء للإبل، المعجم الوسيط(باب الحاء، فصل الدال)// والنَّجيبُ مِنَ الإبل، وَالْجَمْعُ النُّجُبُ والنَّجائبُ، وَهُوَ القويُّ مِنْهَا، الْخَفِيفُ السَّرِيعُ،..وَكَذَلِكَ النَّجابةُ فِي نجائبِ الإبل، وَهِيَ عِتاقُها الَّتِي يُسابَقُ عَلَيْهَا، لسان العرب، مادة (ن، ج، ب)// التحنان: الحنين الشَّديد، المعجم الوسيط(باب الحاء، فصل النون).

انتقلَ شوقي مِن العام إلَى الخاص، فبعد الطلب بتوجيه الخطاب للشباب خصص مِن فئة الشباب النجباء الأذكياء الأوفياء؛ ذاك أنهم تَنْطاعُ قلوبهم لخطب الخطيب البليغة، وتستجيبُ لنداء الوطن، وتخضع برغبتها إلى وطن الحرية والكرامة.

برعَ شوقي فِي الإبانة عن المعنى المراد مِن خلالِ الصورة التمثيلية التي شكلتْ نسيجها الاستعارة التمثيلية، فأَكسبتْ الكلامَ جمالًا وأبهة، وخلقتْ عالمًا جديدًا يُعرب عن حنين الشبابِ الأوفياء والنجباء لوطن الحرية والعزة، مستعيرًا صورة الحادي الذي يَمدُّ في الغناء مرسلًا أجمل وأعذب الألحان للنياق الكريمة العتيقة الذكية –التي تُجيدُ الاستماع– فما يكون مِنها إزاء هذا الصوت العذب والألحان الغنّاء إلا أنْ تنصرف عن طريقها، وتستجيبُ له منطاعة برغبتها، فيهوى لجامها حنينًا إلَى تلك الألحان، وكأنّ لجامها كائن حيّ له ميل ورغبة، يَميلُ مع ما مالت إليه النياق إلَى هذا الصوت العذب النديّ الذي يَسْكنُ نفسها، ويملأ جوانبها، لحال الخطيب الذي يشدو بلحن الحريةِ والكرامة على مسامع النجباء الأحرار، أباة الذل والعار، فتستجيبُ عقولهم وقلوبهم منطاعة راضية إلى نداء الوطنِ الذي جسده خُطب الخطيبِ البليغة الفصيحة، فيُعْربون عن ميلهم وحنينهم الشديدِ إلى دورهم الفعال في بناء أوطانهم واسترداد شرفهم، وذلك بجامع الهيئة الحاصلة مِن حُسن استخدام أدوات الفلاح فِي مواضعها بما يحققُ النفعَ والصلاحَ.

وصورةُ شوقي بديعة بليغة ربطتْ بين أودية متباينة، لاحَظَ فيها شوقي التشابه بين مفرادتها، فنظر إلَى الشبه بينَ النجائب والشباب، حيث قصَد أولًا إلى القوة والنشاط والقدرة على التحمّل، ومواجهة أقصى وأصعب الظروف، فعَمَد إلَى وادي الإبل واختارَ منها النجائب، ونجائبُ الإبل خيارها وأفضلها وأكرمها؛ ليشابه بذلك شباب الوطن الحُرّ الأبيّ الفاضل الذي

لايرضى بالذل والهوان، القادر على تحمُّل أقصى الظروف وتحقيقِ غايات النصر دون تردُّد أو ضَعْف.

كما نَظَرَ إلى الخيط الجامع بين الغناءِ والخطب، وبين الحادي والخطيب؛ ليُبيّن عن أثر الكلمة في النفوس الذكية الطاهرة التي تكفيها الإشارة والتوجيه، وعمد إلَى الشبه بين الأعنةِ عند الإبل والعقل والضمير عند الشباب؛ فالإبل تَسَيرُ وفق هوى لجامها كذلك المرء يَسَير وفق ما يرتضيه عقله وضميره، بحيث إذا ما صادفَ العنان والقلب والضمير ما يستحسنه انصرفَ واستجاب واستكان راضيًا غير مقهور،

وصورةُ شوقي بليغة أبانتْ عن صنعتِه في التصوير، وبلاغةِ اختياره لألفاظه ومعانيه.

٢-الإخلاصُ والشجاعةُ فِي توجيهِ النّصحِ والوَعي.

أَلْقِ النصيحةَ غيرَ هائبِ وَقْعِها ليس الشجاعُ الرأْي مثلَ جبانِه

يُبَيّن شوقي آلية توجيه النّصيحة والوعْي في نفوس الفئة التي حدَّدَها في الأبيات السابقة، فطلب مِن الخطيب على سبيل النصح والإرشاد -في أسلوب الأمر (أَلقِ)- أنْ يكون أمينًا صادقًا مخلصًا في نُصْحه وعظته التي يقصد إليها في خُطَبِه، وأن يُلقِيَ نصيحته صريحة لا يشوبها غموض أو تورية، فيُلقِيها صارخة تشفي قلوب الأحرار، وتُشَكّل العقيدةَ الوطنية لدى الشباب.

وأمسكَ شوقي بريشة التصوير لبيان معناه، فأخرجتْ الاستعارة لوحةَ النصيحة وجسَّدتها في صورة شيء مادي يُلْقَى ويُقْذَف بها، وهذا يومِئ بعِبِّها وثِقلها؛ فشوقي لم يطلبْ مِن الخطيب تقديم النصيحة بل

طلب إلقائها وطرحها؛ ملوحًا بذلك إلَى الظلمِ الاجتماعيّ الذي كان يَسُود تلك الفترة؛ ذاك أنّ التوجيه والوعْي بالحرية والكرامةِ ليس بالأمر الميسور؛ وجاء التقييد بالحال في قوله:(غير هائب وقعها) ليُعْرب عن هيئة

الإلقاء بمصداقيةِ وشفافية تامة، وإخلاص فِي بثِّ الوعْي المجتمعيّ دون اكتراث أو احتياط مِنْ وقوع بعض الأمور غير محمودة العواقب.

وعلّلَ شوقي لطلبه بقوله:(ليس الشجاعُ الرأْي مثلَ جبانه) نافيًا بذلك المساواة بين شجاع الرأي المُخْلِص لوطنه والجبان الذي يخْشَى السُّلطة والجاه، فينأى عن الصدعِ بقول الحق في وجه الجميع، فلَمَّح من طرف خفي إلى وجودِ خطباء جبناء، استبدلوا كرامةَ الوطن بمُتَع زائفة، والأسلوبُ في البيت إنشائي طلبي دلَّ عليه فعل الأمر(ألق) دعا إلى استنهاض الهمم بالحثّ على قول النصيحة بصدق وإخلاص، كما حَمَل بينَ طياته معنى التحسر والحُزن على ما آل إليه حال كثير مِنْ الخطباء في مصر.

وبين (شجاع الرأي وجبانه) طباق أظهرَ البونَ الشاسعَ بين الفريقين، ورَسَم طودًا عظيمًا يَحجبُ نورَ الحياة عن جبان الرأي، ويُبيّن طريقَ النور والأمل لشجاع الرأي؛ لينعم بالحرّيّة والكرامة.

٣-إثارةُ الوعْي بمواجهةِ القضيةِ القائمةِ وفساد حال الشباب، ونقْض المزاعم الباطلة.

قُـلْ للـشـبـاب: زمـانُـكـم مُـتحـرِّكٌ هـل تـأخذون الـقـسطَ مِنْ دَوَرانِـه[1]؟

يَسْتَنكرُ شوقي ويتحسر على ما آل إليه حال الشباب، فطلبَ من الخطيب من خلال أسلوب الأمر (قُلْ) أنْ ينصحَ الشبابَ ويُلْفت انتباههم لما هم فيه مِن التكاسلِ والتغافلِ والضعة والهوان؛ فالزمانُ متحرك تَتَغير أحواله، وتتناوب صروفه، وهم واقِفُون فِي أماكنهم لا يعملون، واسْتَفْهَمَ شوقي استفهامًا مجازيًّا استنْكَرَ مِن خلاله أنْ يكون تكاسلهم وصمتهم راجعًا إلَى رغبتهم في الحصولِ على العدل مِن تقلبات الدهر، وتبدُّل أحداثه،

١) الْقِسْطُ بِالْكَسْرِ: الْعَدْلُ تَقُولُ مِنْهُ: أَقْسَطَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُقْسِطٌ ، مختار الصحاح، لزين الدين الرازي، مادة (ق، س، ط).

فوظَّفَ الإنشاء الطلبيّ المدلول عليه بالأمر والاستفهام فِي إيقاظ الشباب ولَفْت انتباههم لسُوء ما هُم عليه، وتَحَرُّك الدهر وتَغَيُّر حوادثه مَعْنًى تَحَدَّثَ فيه كثير مِن الشعراء، قال أبوالبقاء الرندي:

لكُلِّ شَيء إذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فلا يَغترّ بِطيبِ العَيش إنسانُ[1]

هِي الأَيَّامُ كمَا شَاهَدتها دُولٌ مَنْ سَرّه زَمنٌ سَاءَته أَزمَانُ

وجاءت فِي أغصانِ الإنشاء الطلبي –المدلول عليه بأسلوب الأمر (قل) للنصح والإرشاد– الاستعارةُ التبعية تُبَيِّن عدم استقرار صروف الدهر، وذلك مِن خلالِ استعارة التحرك للتغير والتقلب فِي قوله:(مُتحرِّك)، وجاءَ النَظْمُ التركيبي بلفظِ اسم الفاعل متحرك؛ ليُبيِّن عن ثبات وديمومة التحرك والتغير فِي الزمان جبلة فطرية فِي قانون الدهر، والتناسبُ بين متحرك ودورانه يُعْربُ عن التماسك النصّي بين أجزاء النصّ، ويُنَفسُ عن رغبةِ الشاعر في سرعةِ تغير وتحرك الشباب؛ لأنّ الأحداثَ تدور وتتحرك بشكل دائم.

قُمتم على الأحلامِ تَلْتَزِمُونَها كالعالمِ الخالي على أوثانِه

تَعْلُو في البيت نغمةُ التوبيخِ والتحسر على حال الشباب، فقد داوموا على الأحلامِ والأوهام يلتزمونها ولا يحيدون عنها، معتقدين صواب ما هم عليه وقيامهم بكلّ ما عليهم، والبيتُ كله كناية عن التكاسل والهروبِ إلى الأحلام والأماني، وضَعْف الوعْي المجتمعيّ بأهميةِ العملِ لمواجهة الواقع.

تَوسلَ شوقي بالتشبيه التمثيلي البليغ لإبانةِ المعنى الذي يقصده وتقريبه للمتلقي في صورة حسية، فشَبَّه حالَ الشباب فِي امتلاكهم طاقات العملِ والتطور ورغم ذلك ملتزمين وثابتين على الأحلامِ والأماني المضللة

---

١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، ٤/٤٨٦–٤٨٨، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م

الواهية التي لا تبني مجدًا، ولا تحققُ رفعة، معتقدين دوام عِزّهم ومجدهم، وأنّ الزمان سيعود إليهم بالشرفِ والرفعةِ، غافلين كلّ سُبل التقدم والتطور، فما كان مِنهم إزاء مواجهة الواقعِ إلا الاصطدام بسوء حالتهم وخيبة مسعاهم، بحال عالِم امتلك سُبُل المعرفة والعِلْم، ولكنّه خالٍ مِن جوهر المعرفة الحقيقية، وفاقدًا لمنهجية التفكير والتعقل في الأمور، حَبَسَ نفسه على صومعة معتقدات واهية مضللة لا تشفع ولا تنفع، فابتعدَ عن الطريق الموصل إلى العلمِ والمعرفةِ السليمة، مقتنعًا بعلُوّ شأنه وعظيم مكانته ورسوخ قدمه في العلم، فجاءَ علمه بلا أثر لا يُحقق نفعًا، ولا ينمي معرفة، ولا يُوصل إلى غاية مسعاه، ووجْه الشبه هو الهيئة الحاصلة مِن الثبوت والمداومة على الأمرِ الفاسد المضلل مع الاقتناعِ بصلاح الأدوات بما يَخلفُ الضياع والتأخر.

والأوثانُ رمزٌ لمعتقدات فاسدة باطلة واهية، لا يقتنعُ ولا يؤمن بها عاقل، وهذا يومئ إلَى فساد عقول الشباب، وغياب التوعية المجتمعيّة بدور الشباب فِي بناء الوطن وأهمية العمل.

وصورة شوقي بها بُعد إقناعي عالي؛ حيث رسمتْ مَدَى الفساد والضلال والتأخُّر الذي حَلّ بالشباب، كما أنها بعيدة غريبة نُسِجت من وادٍ غير مألوف، تُوقِف نفس المتلقي عند هذا التصوير، وتُبين مَدَى الفساد والتأخر الذي حل بتلك الطاقات؛ لذا آثر ذكر أداة التشبيه ليؤكدَ على المعنى الذي قصده، وليُقربَ الصورة إلى ذهن المتلقي.

وشوقي برعَ فِي نسج خيوط صورته؛ حيث عمدَ إلى العالِم دون العابد– وإنْ كان لفظ العابد هو ما يَتسارعُ إليه الذهنُ؛ لأنه الأنسب للأوثانِ فتكون لوحة المشبه به(كالعابد الخالي على أوثانه)، ولكنه آثر العالِم فأبدعَ في نسجِ صورته، والإبانة عن مراده؛ ذلك أنّ العالِم يمتلكُ سبلًا وَأَدَوَاتٍ تُمَكِّنه مِن عبادة الحق سبحانه وتعالى، ومِن الوصول إلَى جوهرِ الإيمان

والحقيقة فضلًا عن نفعه لغيره، وتوجيهه لغيره بالهدايةِ وطريق الفلاح، وإثبات الحقائق بالأدلةِ القائمة على التأمّل والتدبّر، لكنّه رغم امتلاكه لتلك الأدوات التزم وقامَ على الموروثات والأوثان الباطلة الواهية، التي لا يعتقدُ بها عاقلُ فضلًا عن أنْ يعتقد بها عالِم، ففسد وضَلَّ وضاع أثره، أما العابِد فهو ذلك الذي يؤدي العبادةَ بإخلاص وتقوى دون معرفة تامة ووعي كامل بجوهر الإيمان، فضلًا عن كونه لا يستطيع توجيه غيره إلى الهداية، أو الإثبات والبرهنة على صحة معتقداته، فجاءَ النَظمُ التركيبي باختيار لفظ (العالِم)؛ ليُعْرب عن مَدَى التهكم والسخرية مِن حال الشباب، ويُنفّس عن رغبة الشاعرِ فِي توجيه شِدّة اللوم والعتاب إلَى ما آل إليه حال الشباب.

وقوةُ أثر العالِم فِي الدين والتقوى والهداية مِنْ العابِد معنى جاء فِي بيان الوحي قرآنًا وسنة مطهرة

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ فاطر: ٨٢ ، وعن أبي الدرداء أَنَّهُ قال: قال الرسول– صلى الله عليه وسلم–: " وَإِنَّ طَالِبَ العِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ حَتَّى الحِيتَان فِي المَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ هم وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ "[1].

وتُنازِعونَ الحيَّ فَضْلَ ثِيابه والمَيْتَ ما قد رثَّ مِنْ أكفانِه[2]

---

١) ينظر سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (٢٠٩ – ٢٧٣ هـ). المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، (٢٢٣)، ١/١٥١، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.

٢) الرَّثُّ والرِّثَّةُ والرَّثِيثُ: الخَلَق الخَسيسُ الْبَالِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، لسان العرب، مادة(ر، =

وإمعانا فِي توبيخهم وفساد حالهم أبانَ شوقي عن الضعةِ والهوان والخزي التي آلوا إليه، واصفًا حالهم بتهكم وتوبيخ ولوم على ما هم فيه، فقد صاروا يجاذبون الأحياءَ ما زاد عن ثيابهم، ويتنازعون أكفانَ الموتى البالية، والبيتُ يعلوه الرمز والإيحاء الذي يَعزفُ شوقي من خلاله أوتار الحزن والحسرة على حال شباب الوطن، فرمز بالحيِّ إلَى الشعوب الأخرى التي يُنَازع الشباب فيها مازاد وفضل مِنْ ثقافات وحضارات ومظاهر حياة تم الاستفادة منها وتركها؛ لأنها أصبحت غير ملائمة لتطلعات تلك الشعوب فِي التقدم والرقي، ورمز بالميت لكلّ ما مضى وفَنِي، ورَمَز بالأكفان للثقافات والمعتقدات البالية، فشبابُ الوطن أيضًا ينازعون السابقين ما بلِي وفَنِي مِنْ معتقداتهم وثقافاتهم التي أصبحت لا تناسب العصرَ، ولا تحققُ رفعةً وبناءً.

وهنا يقفُ المتلقي على ملامحِ الصورة التمثيلية التي أَعْرَبت عن تهكمِ الشاعر وتوبيخه للهوان الذي لحق بالشباب، مستخدمًا مِنْ الاستعارة التمثيلية جسرًا لكشف رؤيته عن واقعِ الشباب، وفساد حالهم، فصوَّر حالهم إزاء غياب الوعْي المجتمعيّ والتوجيه بما يجب أنْ يكونوا عليه ليحققوا مجد الوطن وحريته، فرغم امتلاكهم طاقات العمل وسبل التطور والرقي، إلا أنهم أصبحوا في ضعةِ وهوان من أمرهم يتجاذبون مِنْ الشعوب المتقدمة ما فضل وزاد وتم الاستغناء عنه مِن مظاهر وثقافات، مقتنعين أنهم بذلك متقدمين تقدم تلك الشعوب، وفِي الجهة المقابلة يتجاذبون ويتنازعون المعتقدات والثقافات البالية التي رثت ومضى عليها الدهور، وأصبحت لا تُحقق تقدمًا ولا تفي غرضًا، بحال مَنْ يمتلكُ سُبل الحياة والعيش الكريم

=

ث، ث).

ولكنه تكاسل عن هذا ورضِيَ لنفسه بالخسة والهوان، فصار يَتنازعُ على ملابس وثياب زادت عن حاجةِ واستخدام الأحياء، ولم يكتف بهذا بل يصارع أيضا مِن أجل أكفان الموتى البالية المتعفنة، بجامع الهيئة الحاصلة مِن السعي وراء ما هلك وفسد مِن الآخرين وترك المملوك مِن أدوات الفلاح والنفع بما يَخْلفُ الضعة والهوان.

وصورةُ شوقي تهكمية تَعْلُوها نغمة التوبيخ واللوم على قبولِ هذه الأوضاع التي تأباها النفس الذكية، والبيتُ كله كناية عن صفة أبانت عمّا آلوا إليه مِن الضعة والهوان وتركهم سبل الفلاح والنجاة، وبين طيات صورة شاعرنا مشهدان متقابلان، مشهد الشباب وهم يتنازعون ما زاد عن حاجةِ الأحياء مما يعتقدون صلاحه، وحالهم وهم يتجاذبون أكفان الموتى البالية، والتقابل هنا قَوَى ودَعَم مِن إبانة المعنى، وكشف للمتلقي سوء حال هؤلاء الشباب، وَلَمَّحَ إلَى الهلاك الذي لحق بهم نتيجة غياب التوجيه المجتمعيّ.

٤-الحثُّ على استنهاضِ الهمم واستمالةِ القلوب بمواجهةِ الواقع الأليم الذي يتجرعه الوطن وأبنائه.

ولقد صَدَقتم هذه الأرضَ الهوَى والحرُّ يَصْدُقُ فَي هوَى أوطانِه

يَضرب شوقي على أوتارِ الحرية ويُحيي قيمَ المواطنةِ داخل نفوس الشباب، ويُبيِّن عن رغبتهم الداخلية في تقدمِ الوطنِ وتحرره مِن أيدي العابثين، فراحَ يَعزفُ على أوتارِ ضمائرهم وأفئدتهم التي عشقتْ الوطنَ وصدقت فِي هوى أراضيه، مستخدمًا مِن الأسلوب الخبري المؤكد ب(القسم واللام وقد) سبيلًا لتأكيد المعنى وتقريره فِي نفس المتلقي، ومَعْبرًا لنقل مشاعر الشباب الصادقة فِي حب وطنهم وذلك فِي قوله: (ولقد صدقتم هذه الأرض الهوى).

وعَلَّلَ شوقي لذلك تعليلًا منطقيا، فهم أحرار صادقون رغم ما اعتراهم مِن تكاسل وتغافل، والحر يصدقُ ولا ينافقُ فِي هوى وطنه، وهذا ما عبر

عنه قوله: (والحرُّ يصدُق فِي هَوى أوطانه)، فعزف على أوتارِ الحرية واستنهاض الهمم بتحرير الوطن؛ لإحياءِ روح الحرية والكرامة داخل النفوس الأبية الفتية، فأنَّى لهم أنْ يقبلوا ما هم عليه مِن الذل والهوان.

وقوله: (هذه الأرض) كناية عن موصوف وهو الوطنُ، وآثر التعبير باسم الإشارة (هذه) للدلالةِ على قربها مِن القلوب، وأنّها مشاهَدة حاضرة مستقرة فِي النفوس، لا يليق بها ما هي عليه.

وقدم (هذه الأرض) على الهوى؛ ليومئ إلَى أهميتها وعلو مكانتها فِي نفوس أبنائها، واستحقاقها هذا الهوى، فهي أولى بالعناية والرعاية، وهذا ما قد يَلَمحه المتلقي مِن اختيار شوقي للفظ (الأرض) دون الوطن، فكان يمكن أنْ يقول:(ولقد صدقتم هذا الوطن الهوى)، ولكنه آثر الأرض؛ ليُبيّن عن مكانة الأرضِ فِي نفوس أبنائها، ويذكرهم بأفضال الوطن على أبنائه، ففي رحاب أرضه عاشوا، واستطعموا خيراتها، وعليها قضوا أيامهم مع أحبائهم، فالأرضُ وثيقة الصلة بالإنسان، منها خُلق، وعليها يَحيا، ومِنها يُبعث يوم القيامة، فلفظ (الأرض) له دلالة لُغوية وَظَّفَها شوقي فِي إثارة الوعْي المجتمعيّ، وإحياءِ قيم المواطنة داخل نفوس الشباب.

أمــلٌ بَـذَلْـتـم كـلَّ غـــالٍ دُونَــه وفَـقـدتـمُ ما عـزَّ فِـي وجـــدانِــه

استخدمَ شوقي ريشةَ التشبيه فِي الإبانة عن مقصده وذلك في قوله:(أملٌ)، فحريةُ الوطن ومجده أملٌ ورغبة كان ينبغي أنْ تبذلوا أرواحكم وكل غالٍ من أجلها، ولكنكم بذلتم كل غالٍ دونها، فأنفقتم شبابكم وطاقاتكم فِي أمور رخيصة لا تسمن ولا تغني مِن جوع، وتركتم قضيتكم الأساسية فخلف ذلك عليكم فَقْدُ ما عز وصعب عليكم إدراكه والظفر به، وهو حرية الوطن ورفعته، ويَظهرُ فِي لغة شوقي العتاب واللوم لهؤلاء الشباب على تركهم قضيتهم، والانشغال عنها بصغائر الأمور، وقوله: (ما عزَّ في وجدانه) كناية عن صفة وهي الحرية والكرامة.

وشوقي يبثُّ الأملَ ويوجه الوَعي الوطني بضرورة بذل كل غالٍ من أجلِ الوطن ورفعته، وذلك مِن خلال بلاغة اختيار ألفاظه (أملٌ- عزَّ في وجدانه)، وشاعرنا شخَّص الوطن فجعل له وجدانًا يتألم حسرة على ما عزَّ وصعب الحصول عليه وهو الحرية، وتلك استعارة مكنيّة رسمتها ريشة الشاعر فِي قوله:(وجدانه) فأَعْرَبت عن الحسرة والألم التي يتكبدها الوطن جراء هذا الاحتلال.

ثم راحَ شوقي يُمِيطُ اللثام عما يعانيه الوطن، ويكشفُ مساوىء الاحتلال فقال:

الليثُ يَدْفَعُكم بشدَّةِ بَأْسِه عنه، ويُطْعِمُكم بفَرْطِ لِبانِه[1]

ويُريدُ هذا الطيرَ حرًّا مطلقًا لكن بأَعْيُنِه وفِي بُستانِه

فالمحتلُ الغاشم المستبد ليثٌ يستخدمُ قوته وبأسه لإبعادِ شباب الوطن عن الدفاع عن أراضيه-فالضمير فِي (عَنه) في قوله: (يدفعكم بشدَّةِ بأسه عَنه) يعوُد على لفظ (أملُ) في البيت السابق، وهذا أحدث تماسكًا نصّيًّا في نظم الشاعر، فالمحتلُ يستخدمُ ما يتسلحُ به مِن عُدّةٍ وعتادٍ صارخًا بظلمه فِي وجه أبناء الوطن، فيُبعدهم عن السيطرة على أراضيهم، مُحْدِثًا فِي نفوسهم الرهبة والخوف، فينعم بخيرات الوطن ويتقلب فيها كيفما شاء، ويُطْعِمُ أبناء الوطن ما يُفرط فيه مما يزيد عن حاجته مما استباحه مِن خيرات أوطانهم، وهذا ما عبرَ عنه بلفظ(بفرط لبانه)، وفِي هذا إيحاء بالذل والهوان، فهو يُطعمهم ما استهلكه وامتص خيره مما اعتاد على نهبه، وفيه أيضًا تلويح بما يقدمه لهم بما يشغلهم عن مقاومته، حيث يقدم لهم ما اعتاده مِن وسائل للسيطرةِ وفرض التحكم مِن ثقافات دخيلة على المجتمع، ونشر للرذائل، ومعونات مقيدة بسلب خيرات البلاد، وتوجيه الوَعي للانشغال

١) واللُّبانُ: ضَرْبٌ مِنَ الصَّمْغ، لسان العرب، مادة (ل، ب، ن).

بصغائرِ الأمور وغيرها مما اعتاد عليه في سياسته بما يَضْمَنُ استبقاء استعماره واحتلاله.

وبنَى شوقي معناه على نسيجِ الاستعارة التمثيلية، راسمًا صورة حية تنبضُ بالحسرة والألم التِي كان يَشعرُ به المصريون آنذاك، مستعيرًا حال ليث مفترس أحكَمَ السيطرة على مكانٍ يَمْلَؤه الخيرات، وتَعْلُوه النعم، فصار يُبعدُ أهله عنه بزئيره القوي، ويُحدثُ الرهبة والخوف فِي نفوسهم بوثباته الشرسة المخيفة، حتى أحكمَ السيطرة على المكانِ، فما كان مِن أهل هذا المكان إلا انتظار ما يفيض عن حاجة هذا الليث الغاشم- لحال المحتل الغاشم الذي يتنعمُ بخيرات الوطن مستغلًّا الرهبة التي يُحدثها في نفوس أبنائه بما يمتلكُ مِن عدةٍ وعتاد وأسلحة، وبما يَحتمي به مِن دعم الحكام الفاسدين فِي إحكامِ السيطرة على أراضي الوطن، فيُبعدهم عن تحرير وطنهم، ويَنعمُ إزاء هذا بالنهب مِن خيراته مُلْقيًا الفتات التي أَخَذَ خيرها لأبناء الوطن فِي مشهد يَعْلُوه الخوف والذل والإنكسار، وصورةُ شوقي تعلوها الرمزية، ويسكنها أنين الانكسار، وتُلهبُ الحماس لرفض هذا الذل باستهجان الوضعِ الذي صوره الشاعر.

والجمع بين الفعلين(يدفعكم ويطعمكم) فِي التصوير رسمَ صورة متقابلة أبانت عن عمق المعنى الذي يُلَوّح له شوقي، وأعربت عن مقصده فِي مختصرِ لفظ وبراعة تصوير، وعلَّ شوقي بصورته هذه يكون قد اعْتَذَرَ عن الهوان الذي حلَّ بأبناء الوطن، فمغتصب وطنهم ليث ضرغام ذو بأس شديد، معه وسائل تمكنه من إحكام السيطرة، وفرض السلطة والقهر على نفوسهم، وناسبَ شوقي فِي نسج صورته بين (الليث – شدة بأسه) فأخرجَ صورته مِن حيز التخييل إلى حيزِ المشاهدة والواقعية.

وشبابُ الوطن إزاء هذا الليث الضرغام ذي البأس الشديد طيرٌ ضعيف بائس حزين، وهذا ما لَمَّحَ إليه شوقي في قوله:(ويريد هذا الطير)

فشبابُ الوطن في لوحة شوقي طيرٌ حبسهم الليثُ بوعوده المخادعة فِي سجن مِن حديد، نافذته عيون الليث، وجدرانه بستان الليث، فقد أحكم السيطرة على البستان، ونهب خيراته، حتى صار ملكًا له، وسجنَ طيور البستان فيه، سمح لهم بالتحليق فيه إزاء القيام بخدمته، والعمل على راحته، موهمًا إياهم بالتنعم بحريتهم في بستانهم، وتلك استعارة تمثيلية لحال هذا الغاشم الذي أحكم السيطرة على بستان الوطن الغالي، ونهب خيراته، وأمعنَ فِي إبعادِ أبنائه عن تحريره حتي صار الوطن ملكًا له يتصرف فيه كيفما شاء، موهمًا إياهم بالتنعم بالحرية والعيش الكريم، مقدمًا لهم وعودًا باطلةً زائفة، مراقبًا حركاتهم، مقيدًا كرامتهم، مستغلًّا طاقتهم في العملِ لتحقيق مكاسبه الباطلة، وبلاغة الاستعارة التمثيلية هنا كَشَفتْ الحجاب عن معنى الشاعر، وقَربتْ المشهد في صورة حسية يعلوها الأنين، وتحدها الصّرخَات المكتومة خوفًا من صوت الزئير.

وصورةُ شاعرنا دقيقةُ النظم محكمةُ السبك، رَاعَى فيها التناسب بما يخرجها مِن حيز التخييل إلى الواقعية والمشاهدة؛ فالليثُ كناية عن موصوف وهو المحتل، وكلاهما تَكمنُ فيه صفات الوحشيةِ والهمجية والاختلاس، والافتراس والشراهة، والطير كناية عن موصوف وهو شباب الوطن، وكلاهما تَكمن فيه صفات عشق الحرية بالفطرةِ، والعمل والسعي الدؤوب، والخوف والرهبة من القوة لضعف حالهم.

وعلّ شوقي آثَرَ اختيار الطير رمزًا للتعبير عن أبناء الوطن؛ ليُدلّل على أنّ ما هم فيه مخالف لطبيعتهم، ونفوسهم الأبية، فأومأ إلى حتمية فرار شباب الوطن مِن قيد المحتل، وذلك بالتغلب عليه، كما أَعْرَب عن الوضع الذي يحيا عليه أبناء الوطن آنذاك.

ووصَل شوقي بين بيتيه بالواو في قوله:(الليث يدفعكم– ويريد هذا الطير) وذلك لما بينهما مِن الاتحاد في الخبرية والغرض الذي أراده شاعرنا،

وهو بيان منهج المحتل الغاشم، وسُبُله فِي إحكام السيطرة على الأراضي المحتلة، وهذا يُظهر كمال العناية بالغرض المسوق له الكلام.

ولمّا كانتْ الحرية التي يَعِدُ بها المحتل كاذبة، استدرك شوقي بعدها بلكن التي أبانت أنّ ما بعدها مخالف لما قبلها وذلك في قوله:(لكن بأعينه وفي بستانه)، وتَضافرت الاستعارة التبعية مع المجاز المرسل في بيان المعنى وذلك في قوله:(بأعينه) ذاك أنّ الأعين مجاز مرسل علاقته الآلية، فالعين آلة الرؤية والنظر والمراقبة، والباء في (بأعينه) استعارة تبعية أفادت إلصاقهم بنظر المحتل وتحت عنايته ورؤيته، وصورة الشاعر جسّدت إحكام سيطرة العدو على أبناء الوطن، وأبانتْ عن منهج المحتل فيما يَسمحُ به لأبناء الوطن.

ونَظْمُ شوقي تكسوه صورة بديعة باكية، يَعْلوها الذل والإنكسار، ويسودها الألم والاستعباد، نسجها شوقي مِن واد البستان والطير لكنها غصة تبعث في النفس الحزن وتورث الحسرة على الحالة التي عليها الوطن وأبنائه، وتَحَوي الرمز وعمق المعنى في تجسيد الوضع آنذاك، وتبين عن مكمنِ القضية الأم، وتكشفُ عن الخطر الذي يحيطُ بالوطن وأبنائه، وتدفع المتلقي إلى استهجان الوضع والنفور منه بماجسدته مِن حال هذا المحتل وحال أبناء الوطن، ومآل الوطن الذي تحولت ملكيته مِن أبنائه البارين به إلى هؤلاء ينهبون خيره، ويمنعون أصحابه، وهذا ما عبرَ عنه النظم الدقيق في عَود ضمير البستان في قوله:(وفي بستانه) إلى المحتل.

ويظهر للمتلقي الالتفات[1] بين البيتين؛ حيث الالتفات من الضمير (عنه) في قوله: (يدفعكم عنه)الذي يعود إلى الوطن فأَشعرَ المتلقي بملكيةِ

١) الالتفات هنا ناظر إلى الالتفات في مرجع الضمير فهو التفات في(البناء النحوي)أي في الإسناد، ينظر أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د.حسن طبل، ٢٠٦، دار =

الوطن لأبنائه، ورغبةِ الليث في دفعهم عنه، ثم تحول إلى إسناد ضمير البستان للمحتل في قوله:(وفي بستانه)، فالمحتلُ لما أبعد أبناء الوطن عنه صار البستان بستانه، يملكه وينهب خيراته وثرواته، وذهب شاعرنا إلَى أبعد مِن هذا فجعل ملاك البستان –أبناء الوطن– يقومون على رعاية وخدمة هذا السارق، وينتظرون منه فرط لبانه.

آثر الشاعر التعبير بلفظ (بستان)؛ ليُعْرب عن الخيرات والثروات والنعم التي يَحيا فيه الوطنُ، والتي كانت مدعاة لهذا الاحتلال، كما آثر التعبير بصيغة الفعل المضارع (يدفعكم– يريد)؛ ليُبيّن الاستمرارية في هذا النهج، فتلك سياسة مستمرة يُقيمُ عليها المعتدي سلطته، ويَتَحكمُ مِن خلالها في البلاد.

=

الكتب، ١٩٩٠م.

المبحث الثالث

إثارةُ الوعي بسُبلِ الحريةِ والتقدمِ ونبذِ الجهلِ والتغافل.

أوفـــدتـــمُ وفـــدًا، وأَوْفَـــدَ ربُّـــكُـــم ... مـــعـــه الـعـنـايـةَ، فهْي مِنْ أعوانِـــه
الـعـصـــرُ حـرٌّ، والشـعـــوبُ طليقةٌ ... مَـا لم يَحُـزْهـا الجـهـلُ في أَرسانِـــه
فـــاضَ الزَّمـــانُ مِنْ النبوغِ، فهل فتًى ... غـمَـــرَ الـــزَّمـــانَ بعلـمِه وبَـــيانِـــه؟
أيـــن الـــتجـــارةُ وهـــي مضمارُ الغنى؟ ... أيـــن الصـنـــاعـةُ وهـــي وجهُ عَنانِـه؟
أيـــن الـــجـــوادُ عـلى العلومِ بمالِه؟ ... أيـــن المـشـارِكُ مـصـرَ فِـــي فـدانِـــه؟
أيـــن الزراعةُ فِي جـــنانٍ تَحْتَـــكِمُ ... كـخَـمَـائـلِ الفِـرْدَوْسِ أو كـجِـنانِـــه؟
أَنِـــذَا أصـــابَ القطنَ كَـاسدُ سُوقِه ... قُـمْـنَـا على ســـاقٍ إلَى أَثـمـانِـــه؟
يـا مَنْ لشعـــبٍ رَزْؤُه فِـــي مالِـــه ... أنـســـاه ذكـــرَ مـصـــابِه بكـيانِـه!
المـــلكُ كان، ولَمْ يَكُنْ قطنٌ، فلـــم ... يُـغـلَبْ أُبـــوَّتُـــنـا على عُمـرانِـه
(الفـــاطـــميةُ) شَيَّدت مِنْ عِـــزَّهِ ... وبَـــنَـى(بـنـوأيـوبَ) مِـــنْ سُلطانِـــه
بـالقـطـــنِ لمْ يَـرْفَـعْ قواعدَ مُلكه ... فـرعـــونُ، والـهـرمـان مِـنْ بنيانِـه
لكـــن بـأَوَّلِ زارعٍ نَقَـــضَ الثَّـــرى ... بِـذكَـائِـــه، وأثـاره بَـبـنـانِـــه
وبكـــلِّ مُحْســـنِ صَنْعةٍ فِي دَهْـرِهِ ... تَـتَعَـجَّـبُ الأجـيـــالُ مِـن إتـقـانِـه
وبهـــمةٍ فِـي كـــلِّ نفسٍ حَـلَّقتْ ... فِـي الجـوِّ وارتـفـعـتْ على كـيوانِـه
مُلْـــكٌ مِنْ الأَخـــلاقِ كـان بِنَاؤُه ... مِـنْ نـحْـتِ أَوَّلـكـم ومِـنْ صَـوَّانِـــه
فَـــأْتُـوا الهـياكِـــلَ إنْ بَنَيْتُمْ، واقْبِسُوا ... مِـنْ عـرشِـــه فِـيهَا، ومِـنْ تِـيجانِـه

هنا يتحدثُ شوقي عن حزبِ الوفد الوطني الذي أوفده الشعبُ المصري مِن أبنائه المخلصين البارين به؛ للمطالبةِ بحق الوطن في حريته واستقلال أراضيه، وهم سعد زغلول باشا ورفقائه عبدالعزيز فهمي وعلي شعراوي، حيث السفر إلَى مؤتمر لندن إلَى المندوب السامي البريطاني(السير وينجت)[١].

١) يراجع مذكرات سعد زغلول، تحقيق عبدالعظيم رمضان، قراءة سامي عزيز وآخرون، ١٦٠/٧، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، =

وشوقي يُلهبُ حماس أبناء الشعب ببيان ما يَلْتَمِسونه مِن سُبل للبحث عن الحرية، فقد أوفدوا وفدَ الحرية والكرامة، ودُعِّم هذا الوفد بعنايةِ الحق – سبحانه وتعالى– ورعايته فهي عون وحماية له، وتكرار مادة(وفد) في قوله:(أوفدتم–وفدا–أوفد) يُبيّنُ عن مكانةِ الحزب في القلوب، ويَكشفُ عن التعلق بهذا الأمل المضيء فِي الحصول على الحرية، والشاعر جسّد العنايةَ فِي صورة مادية مُحْسَّة، وتلك استعارة مكنية تُعْربُ عن توفيق الحزب فِي مطالبه، ومؤازرة الحق –سبحانه وبحمده– له؛ فالحزبُ يسعى إلى التطورِ والحرية والبناء.

وإسناد إيفاد العنايةِ إلَى الربِّ الرحيمِ تعظيمًا وتشريفًا لتلك العناية، وللدلالةِ على مكانة هذا الوفد، فرَمَى بذلك إلَى ضرورةِ التوجه للحق سبحانه وتعالى والانتصار لما يرضيه، فالتوفيقُ فِي الوصول إلَى الغايات المأمولة يكون مِن الحق –سبحانه وتعالى– لعباده المخلصين المؤمنين الذين يسعَون للعمل والتقدم، وهذا ما يلحظه المتلقي مِن عطف الواو بين (أوفدتم – وأوفد) فأبانَ شوقي عن شرط السعي والعمل فِي الحصول على عناية الحق– سبحانه– ورعايته.

وذُكر المسند إليه(ربّكم) لتقرير الغرض المسوق له الكلام[1]، وهو حفظ الرب الرحيم وتوفيقه ومؤازرته لعباده المخلصين الأحرار، وهنا يُقررُ شوقي بين طيات نظمه حقيقةً عقديّةً تبين عن نصرة الحق–سبحانه وتعالى– لعباده المؤمنين الرافضين للذل والاستعمار، المجاهدين في سبيله

=

١٩٩٢م.

١) ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف العلامة السيد/ أحمد الهاشمي، تدقيق حسن نجار محمد، ٩٠، مكتبة الآداب،ط٣، ٢٠١١م.

بكل ما أوتوا من قوة أمام الظالمين المغتصبين، **قال تعالى:**﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحج: ٤٠. فعناية الحق- سبحانه- هي زاد حزب الوفد وعُدّتهم وعتادهم في الوقوف أمام تلك المجتمعات الطاغية.

وآثر شوقي لفظ(ربّكم) دون اسم الجلالة فجاء إسناد العناية في مقامِ جمال الربوبية؛ ليُعرب عن ربٍّ رحيم رؤوف يُؤازرُ المؤمنَ القوي الساعي إلى انتصار الحق.

العصرُ حرٌّ، والشعوبُ طليقةٌ مَا لم يَحُزْهَا الجهلُ في أَرسانِه[1]

يزرعُ شوقي بذورَ الأملِ فِي نفوس المصريين ويعلن السبب وراء التمسك بمطلب الحرية والكرامة، فالعصرُ سمته الحرية؛ حيث استطاعتْ العديد مِن الشعوب المستعمرة الاستقلالَ والسيطرة على أراضيها، وكان هذا في نهاية الحرب العالمية الأولى، فأَعْرَب شوقي أنّ العصر يسوده الحرية، وأنّ الشعوب طليقة مستقلة، ووضع شوقي شرطًا للحصول على تلك الحرية مثلما حدث فِي تلك البلاد أَرسَى من خلاله قاعدةَ الحريةِ وذلك في قوله: (ما لم يَحُزْها الجهلُ في أَرسَانه)؛ فالحريةُ سمة تَتَنَعَّم بها الشعوب ما لم يَسْتَقر الجهلُ والتكاسل في وعيها وعقيدتها.

بنَى شوقي معناه على أغصانِ الاستعارة التمثيلية، وذلك فِي قوله:(ما لم يَحُزْها الجهلُ في أَرسَانه) مصورًا حال الشعوب التي يوجهها ويقودها الجهلُ والتغافل، فيُبعدُها عن الطريق الصحيح، ويُوردها مورد الهلاك

---

١) رَسَن: ج أَرسان وأَرْسُن، وهو حبلٌ يُوضع في أنف الدَّابَّة، أو حبل أو طوق مصنوع من الجلد يوضع في رقبة الحيوان للأمان والقيادة، معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل، مادة (ر، س، ن)٨٩٢/٢، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

والضياع والتأخر، بحال شخص يقود دابّة فيَضعُ الرسنَ على زمامها، فيوجهها ويحركها وفقَ إرادته.

وبرعَ شوقي في اختيارِ لفظ الرسن؛ ليُبيّنُ عن الخطرِ الذي يَتعرضُ له الشعب، ويُنَفّسُ عن مقصده في الدلالةِ على الخضوع والإذعان التام الذي لِحقَ بالشعبِ حيال سيطرة المحتل، فَلَمَّحَ بهذا إلَى وضعِ الشعب الذي يُعيشُ في غفلةٍ، وأصبح يقوده الجهل والفساد.

فاضَ الزَّمانُ مِنْ النبوغِ، فهل فتًى غمَرَ الزَّمانَ بعلمِه وبَيانِه؟

امتلأَ الزمان وفاضَ بالنبوغ والتقدمِ المعرفي في شتّى العلوم والمعارف، وتلك سُنَّة الله في أرضه، فالحياةُ تحتاج مِنْ أهلها العلم والعمل والسعي بما يناسبهم ويتوافق مع خصوصية الزمان، فيستطيعُ الإنسان أنْ يؤدي وظيفته فِي الإعمار، وبالرغم مِنْ كثرة النبوغ والتقدم لا يُوجد فتًى غَمرَ واستوعبَ بعلمه وبيانه حاجة الزمان، والبيتُ بُنِي على الأسلوب الخبري الذي حَمَل معنى الحثِّ على استنهاضِ الهمم للعلم والسعي للتقدم والتطور.

وشوقي رَكَن إلى الاستعارة في بيانِ معناه فجسَّد النبوغ بشيء مادي فاض به الزمان وامتلأ، وجسَّد الزمان فصوره بإناء يَستوعبُ هذا النبوغ، وتلك استعارة مكنية جسّدتْ مراد الشاعر في بيانِ سعة التقدم المعرفي والحياتي، كما صَورَ العلم والبيان بصورةٍ حسية تُحيطُ بالزمان وتستوعبه وتغطيه وتستره، وذلك فِي ربوع الاستفهام المجازي الذي أفادَ النفي في قوله:(فهل فتًى غمرَ الزمانَ بعلمه وبيانه)، نافيًا أنْ يكون هناك فتى استوعب حاجة أهل الزمان بعلمه وبيانه، فأَعْرَب بصورته أنّ العلوم والمعارف تتكاملُ، والنبغاء يُكَمّل بعضهم بعضًا، وكلُّ عصر أهلُه دائمو الحاجة إلَى العلم والمعرفة بما يناسب طبيعة العصر.

انْتَقَلَ شوقي من هذا الاستفهام إلى استفهام آخر حرصَ من خلاله على بيان مقومات الإصلاحِ والتقدُّم والتحرر الوطني، وتلك المقومات

هي التجارةُ والصناعةُ والتعليمُ والبناء والزراعة، لافتًا الانتباه إليها، وموجهًّا الوَعي بأهميتها في الوصولِ إلى الرفعة والازدهار، فقال:

أيـن الـتجـارةُ وهـي مضمارُ الغنى؟ أيـن الصـنـاعـةُ وهـي وجهُ عَنانِـه[1]؟
أيـن الـجـوادُ عـلى العلومِ بمالِه؟ أيـن المـشـارِكُ مـصرَ فِـي فـدانِـه؟
أيـن الزراعةُ فِي جـنانٍ تَحْتَـكِمُ كـخَـمَـائـلِ الفِـرْدَوْسِ أو كـجِـنانِـه[2]؟

بنَـى الشـاعرُ أبياتـه علـى الاسـتفهام المجـازي الـذي خـرجَ لإفـادةِ الاستنكار على مَا آلَ إليه حال تلك المقومات، فقد اسْتَهجنَ حالَ التجارة وما آلت إليه من الركودِ والتأخرِ وذلك مِن خلال استفهامه المجازي(أين التجارة)، فرمى إلَى ضرورة العناية والاهتمام بها؛ لأنها ميدانُ الغنى وحقله وذلك في قوله:(وهي مضمار الغنى)، وهنا جسّد الغنى فجعله شيئا ماديًا له ميدان وتلك استعارة مكنية، كما شبَّه التجارة بميدان الغنى، فتضافَر التشبيه والاستعارة فِي كشفِ مقصد الشاعرِ فِي الاهتمامِ بهذا المكون الاقتصادي.

وكذلك الحال فِي الصناعة؛ حيث استفهم شوقي مستنكرًا وضعها وذلك فِي قوله:(أين الصناعة)، مستنهضًا الهمم إلَى العناية والاهتمام بها؛ فهي عَصَبُ التنميةِ الاقتصادية، وأكثر القطاعات تحقيقًا لمعدلات النمو المرتفعة؛ ذاك أنَّها تُشَكِّل حجرَ الأساس في تكوينِ ودَعم الناتجِ القومي؛ لذا جَعَلَهَا شوقي الوجهةَ التي يتّجه إليهَا عَنان الغنى وذلك في قوله: (وهي وجه عَنانه)، وهنا شبَّه شوقي الصناعة بأنها وجه عَنان الغنى، والعَنان هو السحاب.

---

١) مِضمار: ج مَضاميرُ، وهو مجال، ميدان، حقل، معجم اللغة العربية المعاصر، مادة (ض، م، ر)//عَنان: سحاب، معجم اللغة العربية المعاصر، مادة(ع، ن، ن).

٢) خمائلُ: شجر مجتمع كثير، ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (خ، م، ل).

وشوقي لاحَظ ثَمَّة تشابُه بين عَصَبِ التنميةِ الاقتصاديةِ في الوطنِ وبين السّحاب عَصَب دورة المياه في الطبيعة، فالسّحابُ تؤدّي دورًا محوريًّا في دورةِ المياه وفي التأثير على درجة الحرارة، فيكون شاعرنا بذلك قد شبَّهَ الصناعةَ ودورها في تكوين اقتصاد الوطن ونُمُوّه وتحقيق الغنى بالسحاب وأثره المحوريّ في تكوينِ المياه اللازمة للحياة على سطح الأرض وحِفْظ توازن درجة حرارتها، فأوْمَأ بذلك التشبيه إلَى أهميتها وعِظم أثرها.

ولما كان التعليم مكوّنًا مِن مكونات الحرية وشرطًا في الحصول عليها أَعْرَبَ شوقي عن أهميةِ التعليم والبحث العلمي فِي استفهام مجازي اسْتنَهضَ مِنْ خلاله الهِمَم للاهتمام والعناية بهذا المُكوّن وذلك فِي قوله:(أين الجواد على العلوم بماله)؛ فالعلمُ محور التنمية والرفعة، ولن تُكتب لوطن التنمية وهو يَسُوده الجهل والتأخر، ولما كان اقتصاد الدولة يُشعرُ بالضعف والانهيار، راح شوقي يَحُثّ على الجُودِ بالمال، والمشاركةِ في نهضة التعليم.

وأردف شوقي بملفِ البناء والتنمية والازدهار، فاستنهض الهمم للمشاركة في التنميةِ وذلك مِنْ خلال الاستفهام المجازي في قوله:(أين المشارك مصر في فدانه)، ثم ختمَ بالزراعة الّتي هي أساس الحياة وعَصَب الحرية والاستقلال؛ لأنّ مَنْ مَلَكَ قوته فقد امْتَلكَ قراره وحرية رأيه، فلا يعيش ذليلًا ينتظر مَنْ يُقررُ مصيره، فاسْتَفهمَ استفهامًا مجازيًّا استنكرَ مِن خلاله مَا آل إليه حال الزراعة المُقوِّم الأساس للإصلاحِ والحريةِ وبناءِ الوطن وذلك فِي قوله:(أين الزراعة).

وشاعرنا دعا إلَى الاهتمام بالزراعة مِنْ خلال التشبيهِ المرسل؛ حيث شبَّه الزراعةَ المزدهرةَ اليانعة التي تخلفُ الرياض والبساتين التي يكون عليها الحياة فتُمَكِّنُ مِن السيطرةِ والتحكمِ بخمائل الفردوس أو بجنانِه، وخمائلُ الفردوس شجرُ الفردوس الكثيف الملتف حول بعضه البعض، وشوقي يَعكسُ

للمتلقي جمالَ الحقولِ الزراعية اليانعة المورقة التي تُضَاهي الفردوس وجنانه، وشاعرنا جمعَ في صورته بينَ مشهدين، مشهد الواقع وهو الزراعة، ومشهد الأثر الذي يصبو إليه وهو خمائل الفردوس أو جنانه؛ ليُبرزَ للمتلقي أهميةَ النهوض بالزراعةِ لتصل إلى جنان الفردوس.

ويلحظُ المتلقي أهميةَ الزراعةِ فِي قوله:(تحتكمُ)، حيث إسناد الفعل إلى ضمير الزراعة مجاز عقلي علاقته السببية، أَعْرَب عن أثرِ الزراعة في الحصولِ على الاستقلال، وبثّ الوعْي بأهميتها وأحيَا قيمةَ العمل والسعي للوصول إلى الحريةِ والجنان، ويُمكن عدّ الصورة هنا استعارة مكنيّة شُخِّصَت فيها الزراعة بحاكِم يَمتلكُ ويَتحكمَ، وهذا يضفى روحَ الحياة على البيت، فقد استعارَ لها صفة الحاكم الذي يُقررُ مصيرَ البلاد، ويَمنحُ أبناءَ الوطن حرية الرأي والاستقلال من ذلِ الاستعمار، والمعنى أقرب إلى المجاز العقلي؛ لأنّ الشاعر يُقررُ مقومات التنمية والاستقلال ويكشفُ عن أسباب تأثيرها.

أَئِـذَا أصـابَ القطنَ كـاسدُ سُوقِه قُـمْنَـا على سـاقٍ إلَى أَثـمـانِـه؟

مازال شاعرنا يتَّكِئُ على الاستفهام المجازي في إيصالِ معناه والتنفّيس عن رغبته، فاستنكر الحال الذي آل إليه الشعب المصري، فبدلًا مِنْ أَنْ يهتمّوا بالحرية وبناءِ محاور التنمية اكتفَوا بمتابعةِ ومراقبةِ أثمان القطن والعمل على استعادةِ مكانته فحسب، وكأنّ كلّ مصادر وثروات الوطن في سوقِ القطن، فإذا ما أصاب القطن ركودًا وانْخفضَ سعره بذل أبناء الوطن الجهد والمشقة ووجهوا الطاقات لاسترداد ثمنه بين السلع، وهذا ما يَلْمَحه المتلقي مِنْ الكنايةِ عن صفة في قوله: (قمنا على ساقٍ إلى أثمانه)؛ حيث أومئتْ الكنايةُ إلى الجهدِ المبذول والتعب لإعادة تحقيق الأرباح والأموال، وهنا يَسْتشعرُ المتلقي اللومَ والتوبيخَ على ما آل إليه حال هؤلاء مِنْ الاكتفاء بصغائر الأمور، وترك حريتهم ومصير وطنهم.

وجملةُ الكنايةِ هنا استفيدت مِن الاستعارة التمثيلية في قوله:(قمنا على ساقٍ إلى أثمانه)؛ حيث صورَ الاهتمام والانشغال بأثمان القطن، وبذل الجهد لإعادة قيمته المالية بصورة القيام على ساقٍ واحدة، فأَعْرَب بذلك عن المعاناةِ والظروفِ الاقتصاديةِ التي كان يحيَا فيها الوطنُ في ظل الاستعمار.

يا مَنْ لشعبٍ رَزْؤُه فِي مالِه أنساه ذكرَ مصابِه بكيانِه!

يَتَحسرُ شاعرنا ببيت يَكْسُوه الحزن ويُسيطرُ عليه التوبيخ واللوم، فنادى بـ(يا) التي تنفّس عَن حسرةِ الشاعر مِن خلال مد الصوت، وتَطَوّي معاني التوبيخ على ما آل إليه حال الشعب الذي جعل جُلَّ خسارته في الأموالِ وكأنها ميدان كرامته، ومَبْعثُ وجوده، فهو ينادي نداءَ حسرة وألم أعقبه باستفهام مجازي حَمَلَ معنى استبعاد أنْ يوجد مَنْ يُعينُ هذا الشعب على حاله الذي سيطرَ عليه التأخر والضياع حيال اهتمامه بمصابه فِي كساد سوق القطن.

وقوله: (رَزْؤه فِي مالِه) كناية عن الخسارةِ الاقتصاديةِ التي عاشها الشعب المصري إزاء ضعف سوق القطن، وتَحمل الكناية عن صفةِ التلويح بضعفِ الوَعْي المجتمعيّ، والجهل الذي سادَ وسيطر على أبناءِ الوطن.

ثم أردفَ شاعرنا متعجبًا مستنكرًا ما آل إليه حال الشعب، الذي نسِي بهذا المُصاب العابر الزائل كيانه ومُصابه الأجَلّ وذلك في قوله: (أنساه ذكر مصابه بكيانه!)، وفي إسنادِ (ذكر مصابه) إلى (أنساه) مجاز عقلي علاقته السببية، كَشفَ عن طبيعةِ وعي الشعب آنذاك.

والبيتُ يَحمل فِي طياته ضعفَ الوَعْي المجتمعيِّ بمصابِ البلاد، ويُشيرُ إلى غيابِ دور المؤسسات في توجيه اهتمام الشعب وطاقات الشباب، ويُعْرِبُ عن الحسرةِ التى جسّدت ألمَ الشاعر مِن حال الشعب، وهذا ما يَلْحَظه المتلقى فِي البِنى اللغوية للنظم؛ حيث أداة النداء، الاستفهام

الاستبعادي، باء الاستبدال في قوله بكيانه والّتي أبانتْ عن استبدالِ الشعب مصيبته فِي كيانه بمصيبته المالية في سوقِ القطن.

المـــلكُ كان، ولَمْ يَكُنْ قطنٌ، فلـــم يُـغـلَبْ أُبـــوَّتُـــنـا على عُمـرانِـه

يَصـفُ شـوقي حـالَ المصـريين الأوائـل ففِـي المـاض القريـب كـان للمصـريين السيطرة والقوة والغلبـة والـتحكُّم فِـي زمـام الأمـور، وهـذا ماعَكَسَـه لفظ (الملكُ) الذي صَدَّر به شوقي بيته، وهو مجازُ مرسل علاقته اللزومية؛ إذ يلزم عن المُلك القوة والسيطرة والعزة والكرامة، وآثر شوقي تقديمَ المعمول على العامل فِي قوله:(الملك كان) لإبرازِ العناية والاهتمام بالغرض المسوق لـه الكـلام، والتأكيد علـى امـتلاكِ الأوائل الملك الـذي كـان، وحـذفَ الشـاعر خبـر كـان وتقـديره: قائمًـا أو كائنًـا؛ وذلـك اسـتجابة لضـيق صـدر الشـاعر وحسـرته علـى الملـكِ الـذي كـان مسـتقرًّا فِـي أيـدي أبنـاء الـوطن ثـم مضـى وذهب.

ونَبَّهَ شوقي علـى المعنـى الـذي يرمـي إليـه وهـو ضـرورة تـوافر أسـباب القوة والملك لامتلاكِ حريـة الـوطن والسيطرة علـى أراضـيه، فـاحْتَرسَ بجملـة دَفَعَ مِنْ خلالها إيهامَ اهتمامِ الأوائل بالأمورِ الماليةِ فحسب، ونَفَـى أنْ يكـون لها دور في حريةِ الوطن وامتلاكه، فقال:(ولم يكن قطنُ)، فنفى بذلك عنايةَ الأوائلِ بالمصـائب الماليـة، فقد كـان اهتمـامهم بالمصـائبِ الفكريـةِ والعقديّـة والبنائيةِ، ويلحظ المتلقي نفي الاهتمام بالقطن وذلك من خـلال تسـليط النفـي على كان التامة في (ولم يكن قطنٌ)، فضـلا عما تضـمنه تنكير المسند إليه في (قطنٌ) من دلالة التحقير والتقليل، وقوله:(ولم يكن قطنٌ) كناية عن علو شأن الأوائل وعدم انشغالهم بالأمور المالية.

ولمّا كانَ لاهتمامِ الأُوائلِ بالحريةِ والبناءِ أثرٌ فَي تَمَكُّنهم مِنْ عُمرانِ الـوطنِ، والـتَمَكُّنِ مِـنْ السيطرةِ عليـه، لـم يُغْلَـب الأُوائـلُ علـى عُمـرانِ الـوطنِ وبنائِهِ، وهذا ما يَظهرُ للمتلقي فِي قوله:(فلم يُغلب أبوتنا على عمرانه)، وهذا

أمرٌ منطقي إذ أنهم المالكون المتحكمون فِي إدارة الوطن وبناءِ مجده؛ لذا ربط الشاعر بين شطري بيته بالفاء السببية الّتي كشفت عن التمكن من البناء والعمران نتيجة استقرار الملك وعدم الاهتمام بالمصائب المالية الزائلة.

والبيت حَمَل مقابلة بين حالين أَبْرَزَ التضادُ بينهما مُراد الشّاعر؛ حيث قابلَ بين حال الأوائل الذين تقلدوا الملكَ والعِزّة والقوة وهذا ما عبر عنه فِي قوله: (الملك كان)، والحال الآخر الذي سكن في النفي فِي قوله: (ولم يكن قطنٌ)؛ حيث أعْرَب عن حالِ الذل والعبودية ونشْر الجهل وتغافل القضية الأم إزاء الانشغال بأثمان القطن.

ثم راح شوقي يَسْرد أدلته ليُحاجج على صحةِ كلامه، ويُقررُ معناه فالملكُ إنما يكون في العلمِ والعمل والحرية وبناءِ مجد الأمة، فذكر نماذج لدول الأوائل الذين علا ذكرهم في سماء المجد والبناء، فقال:

(الفاطميةُ) شَيِّدت مِنْ عِزَّهِ وبَنَى(بنوأيوبَ) مِنْ سُلطانِه
بالقطنِ لمْ يَرْفَعْ قواعدَ مُلكه فرعونُ، والهرمان مِنْ بنيانِه

فبدأ بدولتين إسلاميتَين: الدولةُ الفاطمية والدولةُ الأيوبية، فكلتاهما تُعدُّ نموذجًا لدولة إسلامية عزيزة الجانب، قوية المنع، استطاعتْ إحكام السيطرة على البلادِ والتقدم والازدهار مِنْ امتلاكِ عزة الملك وسلطانه.

وبنَى شوقي بيته على الحذفِ؛ حذفَ المتعلق المفعول في قوله: (شيّدت مِن عزه) والتقدير مجدها، كما حذفَ المفعول أيضا في قوله: (وبنَى بنو أيوب مِن سلطانه) والتقدير ملكهم أو مجدهم، والحذفُ جاء لإتساع عطاء المعنى، ولتذهب نفسُ المتلقي كلَّ مذهب في تخيلِ وتصور ما شيّده الفاطميون بما أبهروا به العالم، وما بنَاه بنو أيوب على إثر هذا التشييد والإرساء، فاستحقا الذِّكر فِي سياق المُلك والقوة والعزة.

واستعان شاعرنا بالتصوير الاستعاري فِي رسم صورة القوة والرقي والحضارة التي كانتْ تتمتع بها كلتا الدولتين؛ حيث صورَ مجدَ الفاطمية

بشيء مادي شُيِّد مِن عز امتلاك الوطن، كما صورَ سلطانَ الدولة الأيوبية ببناء بُنِيَ مِن السيطرة على الوطنِ، وامتلاك زمام أمره، وجانس شوقي فِي صورته بين (بنى–بنوأيوب) جناس ناقص، فأحدث نوعًا مِن التلائم والتناغم في الكلام أَعْرَب عما بَيْنَ بني أيوب والبناء والإصلاح مِن علاقة وطيدة، فقد بنَوا بناية المجد والشرف بَعْدَ أنْ شيَّد الفاطميون أصولها وأركانها.

وبيتُ شوقي يَحملُ دلالة سياسية وتاريخية عميقة؛ حيث جَمَع بين دولتين قويتين لَمَّحَ إلى التكامل بينهما مِن خلال براعة انتخاب الألفاظ، فقد اختار فِي مقام الفاطمية (شيّدت) بينما اختار فِي مقام الأيوبية (بنَى)، فلَمَّحَ إلى التحوّلِ السياسي والفكري بينَ الدولتين؛ ذاك أنّ التشييد إرساء للقواعد والأصول والأركان، والبناء إِكْمالٌ لِمَا شُيِّد وإتمامٌ له، فالتشييدُ مرحلة مِن البناء، فما بدأه الفاطميّون أكمله الأيوبيّون في صورة تُبيِّن قوتَهم وامتلاكهم الحُكم، وتُعْرِبُ عن نعي الشاعر لحال أبناء الوطن في استسلامهم لذُلّ الاستعمار وانشغالهم بما يَصرفهم عن كيان وطنهم.

ثم تدَلَّى شوقي فِي ذِكْر نماذج سيطرة الأوائل وامتلاكهم الحكم، فانتقلَ مِن الدولةِ الأيوبية إلى الدولةِ الفرعونية القديمة، نافيًا أنْ يكون امتلاك القطن والاهتمام بأثمانه مَبعث الملك والسيطرة، وقَدَّم الجار والمجرور على عامله في قوله:(بالقطن لم يرفع قواعد ملكه فرعون)؛ لتقوية وتأكيد وإثبات الحكم بنفي امتلاك الملك والقوة حيال الاهتمام بمتابعة صغائر الأمور، كما آثر شوقي تقديم المتعلق(المفعول) عَلَى المسند إليه في قوله: (لم يرفع قواعد ملكه فرعون)؛ لتقوية الحكم والاعتناء به وجَعْله نصب أعين المتلقي، ومحور اهتمامه وللدلالة على قوة وعظمة الدولة الفرعونية.

وبنَى شوقي معناه على التصوير الاستعاري؛ حيث صورَ الملك ببناء راسخ قوي محكم، له قواعد ثابتة مستقرة، وكأنّ الملك بناء يُشيَّد ويُبْنَى ويُرفع إلَى سماء التطور والحضارة، فرَسَم بريشة الاستعارة المكنية ملامحَ القوة

والعِزّة والحضارة التي كانتْ تتمتعُ بها الدولة الفرعونية، وناسبَ شوقي بين (فرعون–الهرمان) فأحدث تماسُكًا نصّيًّا، وارتباطًا دلاليًّا قَوَّى مِن مقصده، والتعبير بلفظ الهرمان يدلّ على قوة الجهدِ والعمل فِي الحصول على الملكِ والسيطرة؛ فالأهراماتُ رمزٌ للقوة والعظمة والخلود، ودليل على قوةِ الدولة الفرعونية، وضخامة بنايتها، وآثر ذكر الهرمين إشارة إلَى أشهر هرمين الأكبر والأوسط فهما مِن عجائب الدنيا، ولمناسبة الوزن الشعري، والمحافظة على الإيقاع الموسيقي الداخلي.

لكن بأَوَّلِ زارعٍ نَقَضَ الثَّرى بِذكَائِه، وأثاره بَبنانِه

لَمَّا نفى شوقي عن مجد الأوائل وملكهم الانشغال بصغائر الأمور، ومتابعة أثمان القطن، استدرك بلكن التي ربطتْ بين أبياته، فجاء نَظْمه محكم السبك كأَنَّما نُسِج في قالب واحد، فشاعرُنا بَعْد أَنْ نَفَى عن الاعتناءِ بأثمان القطن امتلاك الملك والعزة والحرية استدرك بإثبات المُلك للعمل والجد والاجتهاد، والاعتناء بمحاور التنمية والنهضة، وبدأ في تلك المحاور بما انتهى إليه في الأبيات السالفة التي تحدّثَ فيها عنْ مُقَوّمات البناء والتّطوُّر، والتي بدأ فيها بمقوم التجارة وانتهى بالزراعة، فبَدَأ هنا بالزراعة مُحْدِثًا بذلك ترابُطًا بين أبياته وتلاحُمًا، فالمعاني يتفرّع بعضها عن بعض، ويأخذُ بعضها بحُجْزِ بعض، وهذا يُبرز صنعة الشاعر وقوة صياغته.

بدأ شوقي بالزراعة؛ لأنَّها أَهمّ أسباب السيطرة والتحكم والعزة والحرية، ووَضَعَ لها شَرْطَ صِحَّة لتحقيق الاستقلال وهو العِلْم والتخطيط والتفكير الجيد مع العمل والجِدّ والاجتهاد، فأبان أنَّ الملكَ كانَ بأول زارع جَدَّ واجْتَهَد فاستطاع أنْ يشق ويصدع تراب الأرض بذكائه وحسن تخطيطه في نقض الثري، وتقليب مواده لوضع بذور التّنمية والإصلاح، مستخدمًا بنانه لإثارة وتحريك الثري مخرجًا الخير والأمل والكرامة، فمع التفكير الجيد يأتي العمل الدؤوب الذي يشرف بالجد والمشقة للوصول إلى الغاية المأمولة.

وفي بيت شوقي بديعُ لفظٍ وعجيبُ معنى؛ إذ أَنّه لم يَقُل بكل زارع بل قال بـ(أول زارع) فكَنَى بذلك عن أهمية الفكرة والتجربة بما يعكس أثَر الريادة والابتكار والإبداع في تَمْييز العَمَل المُنْطَلِق مِنْ حُسْن التخطيط وقوة التفكير، كَمَا أنَّهُ قدَّم (بذكائه) على (ببنانه)؛ لينقل مراده في بيان أهميةِ العلم وحُسن التخطيطِ والتفكير وصحة المنهج، وأهمية التّوجيه والتّوعية أوّلًا ليأتي بعد ذلك العمل الدؤوب الصادق الذي يُحقّق الغاية، وهُنَا يومئ شوقي إلَى أهمية التّوعية والتّوجيه وحُسْن التخطيط قبل البدء في العمل والبناء حتى يُؤْتِي العملُ أُكُلَهْ.

وراعَى الشاعر حُسْن الترتيب بين (نقض–أثار) فالإثارة لا تأتي قبل النقض، فأحدث هذا تناغمًا وتلاؤمًا بين شطرَي البيت، وأبان عن التوازنِ بين قوة الفكر وقوة الفعل في رَسْم ملامح التطوّر والحرية، والجَمْع بينَ (نقض– أثار) جَمْعٌ بين فعلَين متضادَّين ومتناسبَين، وهذا مِنْ بديع ذائقة شوقي، فالنقض فيه هَدْمٌ وإبطالٌ وشَقٌّ، وأثَارَ فيه تحْريك وتَحْفِيز ودَفْع، والتّناسُب بينَهُمَا أَنَّ كلاهُمَا يُحْدِث التَّغيير والإبداع، فهذا تناسبٌ سَكَنَه طباق خفيّ.

ورَكَنَ شوقي في إظهار معناه إلى لوحة المجاز المُرسل فعبَّر عن العلمِ والتفكير الجيد والتخطيط مِن خلال المجاز في قوله: (بذكائه)، فأبانت علاقة الآلية عن الفكر الجيّد وحُسْن التوجيه في نقض الثرى، كما عَبَّرَ عن العمل الدؤوب مِنْ خلال علاقة الجزئية في قوله: (ببنانه)؛ فالبنانُ هو سبيل الحفر والإثارة، وهو المُعَوَّل عليه في فِعْل ذلك، فجاء المجاز المرسل يُعْرِب عن رغبة شوقي ومَقْصده الذي دعَا إليه مِن خلال نَظْمه، فكَسَى صورته

بمزيد مِن المبالَغة؛ "فالمجاز المرسل يُعَبِّر عن طريقة رؤية الأشياء والإحساس بها، فهو لا يبدأ إذن بالعملية اللغويّة بل يسبقها ويكيفيها"[١].

وشاعرُنا أضفَى على بيته روحَ الحياة؛ حيث التجسيد مِن خلال الاستعارة المكنية في نقْض الثرى، مُصَوّرًا الثرى بشَيء صلب أو بناء ينقض ويهدم، ويتم شقه وتغييره بالعقل، وهذا يوحي بقوة هذا الزارع، والأفعالُ التي نسج منها شوقي بيته أفعال بها حركة شديدة متوهجة ثائرة، تَرفضُ الذل والاستعمار، وتَطمحُ في البناءِ والازدهار، ويَسكنُ في بيت شوقي التلميح إلَى ضرورة الجمع بينَ العِلم والتفكير الجَيِّد وحُسْن التخطيط والعمل الدؤوب المُتْقَن للوصول إلَى الغاية المأمولة.

ويتجلَّى للمُتلقِّي حُسْن الإيقاع والتّناسُب الصّوتي بينَ(ذكائه–ببنانه) فأضْفَى ذلك موسيقى إيقاعيّة جذابة تَجعلُ البيت أكثر تأثيرًا على النّفْس.

وبكـــلِّ مُحْســـنِ صَنْعةٍ فِي دَهْـرِهِ تَـتَعَجَّـبُ الأجـيـــالُ مِـن إتـقـانِـه

ثنى شوقي بالصناعة عَصَب الاقتصادِ والرخاء، وسطَّر في الصناعةِ شَرْط الإتقان والتميُّز والتفرُّد، وبَنَى بيته على الوصل بالبيتِ السابق مِن خلال الرّبط بالواو؛ حيث وصل (بكل محسنٍ) بقوله:(لكن بأول زارع)؛ لمّا بينهما مِنْ تناسب وتلاؤم حيث التقرير والتأكيد بمقومات المُلك والتطوّر والحرية، مُعربًا بهذا الوصل عن أهمّيّةِ الصناعة فِي الحصولِ على الاستقلال.

والصّانعُ الذي قصده شوقي هو المُحْسِن في صنعته، المُتْقِن الصنع المتميِّز المتفرِّد، الذي يَخلفُ مِنْ صناعته آثارًا وجمالًا تتعجّب مِنْهُ الأجيال على مَرّ الدهور، وصنعةُ ذلك الصانع المُتْقِن ليست حبيسة عصره، بل يمتد

١) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، د.صلاح فضل ،٢٩٥، دار الشروق –القاهرة ،ط١، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م

نَفْعها وأثرها والإعجاب بها إلى أجيال متعاقبة، مِمَّا يُومئ بشدة الإتقان وتَمَيُّز الصنع.

ونَكَّر الشّاعر (صنعة) لإفادة العموم والشّمول، وجاءت الظرفية المستفادة مِنْ حرف الجر (فِي) فِي قوله: (في دهره) تُبَيّن نَفْع تلك الصنعة وتلاؤمها مع مُتَطَلّبات عَصْرها.

ورَكَنَ شاعرُنا إلى التصوير الاستعاري فِي بيان معناه؛ حيث التجسيد في قوله: (تتعجبُ الأجيالُ مِن إتقانه) مجسدًا إتقان الصانع فِي صنعته بشيء مادّيّ جميل يأخذ النواظر عجبًا، ويستميل النفوس طربًا، ويَحْظَى على الإعجاب والانبهار، والبيت كناية عن خلود الإبداع والعمل المُتقَن المُحْكَم الذي يَشْهَد زمانُه آثارَه، وتتوارثه الأجيال المتعاقبة، ويَظَلّ مصدرًا يُعزِّز التميُّز والإتقان.

ويجلو للمتلقي أنّ الشاعر عَبَّر في جانب الصناعة بقوله: (بكل محسنٍ)، بينما عَبَّر في مقامِ الزراعة بقوله: (بأوّلِ زارع)؛ ليُبيّن أنّ قوة الصناعة تَكمُن أكثر ما يكون في حُسْن الإتقانِ والإبداع، ولا تنحصر في الريادة فحسب؛ لذا نَاسَبَ هذا المعنى التعبير بصيغة المضارع (تتعجب)، للدلالة على استمرار التعجبِ وخلود الإبداع، وتجدد الانبهار به.

وبهـــــمةٍ فِـي كـــلِّ نفسٍ حَـلَّقتْ فِي الجوِّ وارتـفـعتْ على كـيوانِـه[1]

وَصَلَ شوقي بين الريادة والإبداع للزارع وحُسْن الإتقان والتميُّز للصانع بقوة الإرادة والعزم الفتيِّ في كل نفسٍ أبيّة ترفض الذّلّ والانكسار، فتستطيع مِنْ عَزْمِهَا التَّغلّب على الضَّعف والعجز البشري، وتخترق سماء

١) كيوان: نجم يقال له: زحل، ينظر كتاب العين لأبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، باب الكاف والواو والياء، دار ومكتبة الهلال.

المستحيل؛ لتُحلّق في سماء الحياة بين طُيور الأمل بخوارق ومعجزات تنفع البشرية ويمتد آثارها إلى أبعد الحدود، فصَدَّر نَظْمه بالواو التي ربطتْ بيته بالأبيات السابقة في بيانِ سُبُل القوة وسيطرة الحكم، والهِمّة هي العزم العالي الفتيّ الذي يسمو بصاحبه إلى معالي الأمور، فيصنع له أجنحة يُحلقُ بها في الجو ويرتفعُ فوق ذاته، وعلَّ شوقي هنا يُلَوّح من طرف خفي إلى البحثِ العلمي والاهتمام بالعلم والاختراعات، وكل ما مِن شأنه إحداث طفرة في تاريخِ البشرية، يستطيعُ المرء مِن خلالها أنْ يُحَلِّق في السماءِ الخالدة سماء العلم والمعرفة، مخلدًا لنفسه ولوطنه المجد والرقي بما يُبهرُ العقولَ ويملك الألباب.

وشاعرنا رَكَنَ فِي تصوير معناه إلَى لوحة الاستعارةِ المكنية فِي إضفاء روح الحياة على بيته، فجَسَّم الهمّة فِي صورة طائر له أجنحة يُحَلّق بها فِي سماء النور والملك، وتلك استعارة مكنية في قوله:(وبهمة فِي كل نفسٍ حلقتْ)، وهذا التحليق نَتَجَ عنه الرُّقيّ والتَّقدُّم والارتفاع على ذاتيّة البشر؛ حيث ارتفعَ صاحب تلك الهمة واستعلى على (كيوانه)، فجاءت الاستعارةُ التبعية فِي حرف الجر(على) تؤازر الاستعارة المكنية، وتُبَيِّن عَنْ معنى الشاعر؛ حيث أفادت استعلاء صاحب تلك الهِمّة والعزم الفتيِّ على كوكب زحل المُعَبّر عنه في قوله:(كيوانه)، وكأن آثاره امتدتْ إلى خارج كوكب الأرض، فَقَدْ عَلَتْ إلَى ما هو أَبْعَد مِنْ كوكب الأرض، فأَعْرَبَ شوقي عَنْ معناه في لوحة حَيَّة تُنْبِئ عن الإبداعِ والتفوّق، وأثر قوة الإرادة والعزم في امتلاكِ زمام الأمور والاستقلال.

ونَكَّرَ شاعرنا (نفس) للعُمُوم والشُّمول؛ ليُبَيّن أنّ كل إنسان بداخله هِمّة وعزيمة إذا ما قَوِيت واشْتَدَّت، استطاعَ المرءُ مِن خلالها التحليقَ في السماء، والارتفاع إلى أعلى الدرجات، والبيتُ يُشيرُ إلَى الطموح العالي، والسعي الدؤوب وقوة العزم والسُّموّ الذي لا يَتَقَّيد بحُدُود المستحيل، ويَظْهَر

للمتلقي تَرقّي شوقي بصاحب العزم الفتيِّ؛ حيث تَدَرَّجَ مِن التَّحْلِيق في الجَوّ إلَى الارتفاع بصاحب تلك الهِمَّة عَلَى مستوى أعلى وهو(كوكب زحل)، وهذا تَـرَقٍّ فِـي المعنـى، قَـوَّى مِـنْ مَقْصِـد الشَّـاعر، وحَقَّـقَ مـراده فِـي توجيهـه المجتمعي بمقوّمات الحرية والبناء والتّطوُّر.

بذلك يجلو للمتلقي أنّ مقومات الاستقلال والحرية تَكْمُن فيما عَرَضَه شوقي في أبياته الثلاث مِن العلم والتفكير الجيد وحُسْن التخطيط ومؤازرة ذلك بالعمل الجاد الدؤوب، والرّيادة والتميُّز في كُلّ شيء، وحُسْن الإتقان والإبداع في العمل بما يخلف آثارًا يَمْتد نَفْعها إلى الأجيال المتعاقبة، وهذا يتطلب العزم الفتيَّ وقوة الإرادة، وكَسْر حواجز المُستحيل بما يُمَكِّن مِن الاستقلال والارتفاع إلى سماء المَجْد والخلود.

مُلْـكٌ مِـنْ الأَخْـلاقِ كـان بِنَاؤُه مِـنْ نـحْـتِ أوَّلـكم ومِـنْ صَـوَّانِـه

بَعْد أَنْ أَبَان شوقي عَنْ شُرُوط ومُقوّمات المُلك أَعْرَب عَنْ هذا المُلك الذي تَمَتَّع به الأوائل، فَقَد كان ملكًا مِن الأخلاق الحسنة الحميدة التي تَعْلُو بصاحبها فوق دُونيّة البشر، فَلَمَّحَ شوقي إلَى أنّ سوء الأخلاق كالنفاق والرياء والغش والخيانة وغيرها مِن الأخلاقِ الذميمة التِي انتشرتْ بشكلٍ ظاهر على السّاحة المصرية لَنْ تبني حرية ولن تخلف إلا الفساد.

وآثر شوقي التعبير بقوله:(مِنْ الأخلاق) فجَعَل الأخلاق هي ابتداء الغاية التي تُوصِل إلى الملك القائم على الحُرّية والسّيطرة، وذلك مِنْ خلال النّظر إلى الحَقْل الدلالي الذي أفادته (مِنْ)، وهذا يُشعرنا بأنّ الأخلاق هي منبع ومصدر هذا المُلك، لذا لَم يَقُل ملكا ذا أخلاق؛ ليُبيّن أنَّهَا ليست إضافيَة بل هي مَصْدَر وأساس، وفِي هذا تجسيد للأخلاق مِنْ خلال الاستعارة التبعية فِي قوله: (من الأخلاق)، فَأَبَان عَنْ عُلُوّ شأن الأخلاق الحسنة، وأَثَرها البَنَّاء في التَّطوُّر والحُرّيّة، والكلام بُنِيَ على الحَذْف والتَّقْدير: مُلكٌ من مكارم أو محاسن الأخلاق، والأخلاق الحسنة مَطْلَبٌ حَثَّنَا

عليه دِينُنا الحنيف، مِنْ ذلك حديث جَابر :أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال:"إنَّ مِن أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلسًا يَوْمَ القِيامَةِ أحاسِنَكُمْ أخْلاقًا"[١]، وقال الرسول(ﷺ): "إنّ مِنْ خياركم أحسنكم أخلاقًا"[٢] .

وأَتْبَع شوقي ببيان أثَر الأوائل وجُهْدهم وعَمَلِهم في بناء مُلك مصر وقُوّتِها، فَقَدْ نَحَتُوا الصّخُور والصوان، وتَغَلَّبُوا عَلَى الصِّعَاب، وكَدُّوا مِنْ أَجْل بِنَاء تلك الحَضَارة وهذا المُلْك، فمُلْكُهم لَمْ يَكُن مُزَيَّفًا عَلى سبيل الادّعاء والتّقليد الأعْمَى كالدّوابّ، وإنَّمَا جاء بالنّحت والكدِ والرّيادة والإبداع.

وشاعرنا رَكَنَ إلى التَّصوير للإبانة عَنْ معناه؛ حَيْثُ صَوَّرَ هَذا المُلْك الذي تَأَسَّسَ عَلَى الأَخْلَاق والقِيم التي أرْسَاهَا الأوائل في بناء مُلْكِهم ببناء عظيم عجيب، بُنِيَ مِنْ نحت الحَجَر وتطويع الصوان ليُخْرِج لنا مُلْكًا بديعًا مُتميّزًا يَسْتَمِيل النّفوس والقلوب، وهذا تشبيه ضمنيّ أوْمَأَ إلى أَنَّ المُلْكَ الذي أَسَّسَه الأوائل لَمْ يأتِ بسهولة، بل كانَ نتاج جهد وكد وعمل.

والنحتُ والصوانُ في قوله: (مِنْ نَحْت أوّلكم ومِن صوّانه) مجاز مرسل علاقته اللزومية، حيث يَلزم عن النحتِ وتطويع الصوان العمل والجد والمَشقّة، وَنَاسَبَ شوقي بين مُفْرَدات بيته (نحت– صوانه) فأَحْدَثَ انسجامًا وتماسُكًا نَصِّيًّا قَوِيَ مِن خلاله مَقْصِد الشّاعر.

فَأْتُوا الهياكِلَ إنْ بَنَيْتُمْ، واقْبِسُوا مِنْ عرشِه فِيهَا، ومِنْ تِيجانِه[٣]

---

١) الجامع الكبير سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩ – ٢٧٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، باب ما جاء في معالي الأخلاق، (٢١٣٧)، ١١٨/٤، دار الرسالة العالمية، ط١ ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

٢) المصدر السابق نفسه، باب ما جاء في الفحش، (٢٠٩٠)، ٨٦/٤.

٣) الهياكل: الهَيْكَل: البِناءُ المُشْرِفُ، تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، ١٤٤/٣١، وزارة الإرشاد والأنباء =

خَتَمَ شوقي قصيدَته بتوجيه النُّصح والإرشاد مِنْ خلال الأمْر المجازي الذي رَاعَى فيه توجيه العقول وإحياء المواطنة في النفوس، فطَلَبَ مِنْ أبناء الشعب المصري أنْ يَقْتَدُوا ويأخذوا مِنْ مُلْك الهياكل، وأَنْ يأتوا إليها؛ ليتأمَّلُوا ويَنْهَلُوا مِن العظات والعِبَر التي تَكْمُن في مُلْك تلك الأبنية الضخمة العظيمة الشريفة، والمعابد العريقة والقصور الفخمة التي تحمل بين آثارها أمجادًا راسخةً، تَقُصّ سياسات ومناهج فكرية بديعة تُمَكِّنهم مِن الحرّيّة وامتلاك زمام الأمور، وهُنَا صَوَّر شوقي مُلْك الأخلاق الذي أسَّسَه الأوائل في دولتهم الحرة الأبية بالهياكل العظيمة الراسخة، وتلك استعارة تصريحية، أشار شوقي مِن خلالها إلى أثر الأخلاق والإبداع في الحصولِ على الحرية والاستقرار.

والهياكلُ رَمْز عَبَّرَ شوقي مِنْ خِلَاله عَنْ قُوّة تلك الدُّوَل وعَظَمَتِهَا، فَقَدْ تَرَكَتْ آثارًا وحضارة عظيمة يَسْتَلْهِم الناس مِنْهَا التّوْجِيه والمَجْد والقوّة وبراعة التفكير وحُسْن التخطيط.

وَوَصَلَ شوقي بين نُصْحه بالإتيان ونُصْحِه بالاقتباس مِنْ ضياء هذا المُلْك المُستَقِر في تلك الهياكل، وذلك مِنْ خلال الأمر المجازي فِي (واقبسوا) فأَعْرَبَت الواو عَنْ مَنَاط الاتصال بَيْنَ الفعلَين وأبانت عَنْ غرض الشّاعر فِي تقرير ضرورة العمل والاقتداء بآثار ومسالك الأوائل، وسُبُلهم في الحصول على الحرية والمُلك، وشاعرنا صَوَّرَ المُلك مِن الأخلاق –الذي يجلو فيه مقوّمات الحرّيّة والاستقلال– المُسْتَقِرّ في تلك الهياكل بمَلِكٍ له عَرْش يَجْلِس عليه مُتَرَبِّعًا ويُتَوَّج بتاج مُرصع باللآلىء والدُّرر يَتَزَيّن به بَيْنَ

=

في الكويت – ٢٠٠١ م.

المُلوك، وتلك استعارة تمثيلية مكنيّة أَعْرَبَتْ عن نَهْج وَوَعْي الأوائِل وقُوَّة مُلْكِهِم، ولَمَّحَتْ إلى ضرورة اتخاذ منهجهم في البناء والتطور لبناء حضارة أبيَّة تطمح في الاستقلال وتأبى الذل.

وشاعرنا جَعَل لتاج وعرش هذا المَلِك نورًا نَصَحَ بالاقتباس مِنْ ضيائه مِنْ خلال الأمر المجازيّ فِي (اقبسوا)، وهذا النّور هو المنهج والسّياسة وحُسْن التّخطيط، وتلك استعارة مكنيّة أُخْرَى تَضَافَرَتْ وتَلَاحَمَتْ مَعَ الصّورة التّمثيليّة؛ لتُعْرِب عَنْ قُوَّة ملك الأوائل، وعظيم فَضْلِهم، وَنَاسَبَ شوقي في صُورته بَيْنَ الهياكل والعرش والتّيجان فَأَحْدَثَ تَمَاسُكًا نَصِّيًّا في نَظْمه، وأَضْفَى عَلَى بَيْتِه روح الإبداع والحياة.

ويَظْهر للمُتَلقِّي العلاقة بَيْن مَطْلَع القصيدة وخَاتِمَتِها وَمَا بَيْنَهُمَا مِن انسجام وتناغُم، فالشّباب الذي يَرفّ الوَطَن ويَهْتَزّ شَوْقًا إِلَيْهم، هُمْ هَؤُلاء الذِينَ تَقُوم عَلْيِهم حَيَاة الوَطَن وَحُرّيّته واستقلال أراضيه، ولا حَرّيّة دونَمَا امتلاك أمْر الوَطَن، والسَّيْطَرة عَلى مُلْكه، وهذا لا يَتَحَقَّق إِلّا بالرّجوع إِلَى مَا في تُراث أسلافِنا مِنْ قِيَم ومَبَادِىء أَرْسَوْهَا وامْتَلُكوا بها المَجْد والشرف، فخَلَّدوا آثارًا باقية عَلَى مَرّ الدُّهُور، شَاهِدَة عَلَى قُوّتهم وعِزَّتهم وحُسْن تخطيطهم، وعظيم جُهْدهم وعَمَلِهم، ومِنْ ثَمَّ كان النُّصْح بالإتيان والتَّأَمُّل والاقتداء والاقتباس مِنْ تلك الحضارات الزّاهية القويّة؛ ليُصْبِح هذا الشباب للوطن رَيْحانًا يَضْمَن استبقاء الحياة، وتوافر النِّعَم والازدهار.

الـخـاتـمـة

الحَمْدُ للهَّ الْذِي أَتَمَّ نِعَمَهُ، ووَالَى مِنَنَه، حَمْدًا يَبْلُغُ معه القَبول والرِّضَى.

وبعد

فَقَد حَاوَلَ البَحْثُ الكَشْف عَنْ أساليب الشّاعر في قصيدته وسبر أغوار نَصّه؛ للوُقوف على بلاغته ومنهجه وبديع صنعته في نَظْم معناه وبَثِّ الوعْي المجتمعيّ بمُصَاب وَطَنِه، وقَدْ خَلُصَ البحثُ إلى جملةٍ مِن النتائج، هي:

* عَنَى شوقي بانتخاب مفرداته ومعانيه بما يُحَقِّق الغاية ويُبَيّن المَقْصود، وإنْ كان للبحث وقفات نقدية في انتخاب بعض ألفاظه مثل قوله: (هات مِن الحُلى، فلم يزل لك نديًّا).
* أَرْسَى شوقي في قصيدته مبادئَ وأُسُسًا مُهَمَّة تَقُوم عَلَيها حَضَارة الشُّعوب، وبِهَا تَنْهَض الأُمَم في ركب التَّقَدّم والرُّقيّ، فَنَادَى بقِيمَة العِلْم والتَّعَلُّم والتَّفَكُّر مَع العمل الدؤوب المُتقَن المُخْلِص بِما يخلف القوة والعزة والمُلك في نسيج مُحْكَم قويّ الدلالة عَلَى مُرَاده.
* بَرَع شوقي فِي حُسْن ابتدائه لقصيدته بما يَكْشف الحجب عَن المعنى المُراد، ويَبُثّ فِي نفْس المُتَلَقِّي مقصد الشاعر مِن عتبات نَصّه، كَمَا أَطْلَعَ مَطْلعُ القصيدة النَّفْسَ عَلَى منهجيّة ترتيب المعاني فيها، فشوقي لَمَّا بَدَأَ قصيدته بالحَنِين إلى الشّباب شريان الوطن، أَعْرَبَ عَمَّا قَامُوا به لِيَسْتَحِقّوا تِلْكَ المَكَانة، وَهَذا يَسْتَوْجِب ذِكْر مَا غَرَق فيه الآخَرُون مِنْ أسباب أَدَّتْ إلَى حَنِين الوَطَن لِتِلْك القُوَّة الفاعلة، ثُمَّ سَرَدَ أَسْبَاب ضَعْف الآخرين، وَمَا نَتَجَ عَنْ هَذَا الضَّعْف والتَّأَخُّر، فَكَان لِزَامًا عليه رَسْم الطّريق للعَوْدة إلَى تِلْك القُوّة الفاعلة ومَسْلَكِهِم فِي بِنَاء وَطَنهم.
* جَاءَ النَّسَق التّرْكيبي لِأَمير الشُّعَراء مُحْكَمًا قَوِيّ السبك والحبك، يُظْهِر صَنْعةً بَيَانِيَّةً عَالِيةً ورَوْحًا مُتَأَلِّمَة لمُصَاب وَطَنِهَا الغَالِي.
* نَقَلَتْ أَسَالِيب الإنْشَاء الطَّلَبِي مِن الاِسْتِفهام والأَمْر والنِّدَاء مَشَاعِر الشّاعر، وأَعْرَبَت عَنْ عَاطِفَة الحُزْن والأَلَم عَلَى حَال الشَّبَاب، وجَسَّدَت

التّـوْبِيخ والعِتَـاب بصُـورَةٍ وَاضِـحَة، كَمَـا أَبَانَـت الأَسَـالِيب الخَبَرِيّـة عَـنْ مَشَاعِر الحَسْرَة والحُزْن عَلي مُصَاب الوَطَن وأَبْنَائه.

*بَرَعَ الشَّاعِر فِي تَوْظِيف قُيُودِه، وَأَتْقَنَ هندسة التَّقْدِيم والتَّأْخير، فَبَنَى نَظْمًا مُحْكَم السّبك، بَلِيغ الدّلَالَة عَلَى المَعْنَى المُرَاد.

* وَظَّفَ شاعرنا الاقتباس فِي الإبانة عَنْ مُرَاده، والتَّنْفِيس عَنْ رغبته فِي الإصلاح والحُرِّيّة.

*أَجَاد الشَّاعر توظيف الفَصْل والوَصْل بَيْن جُمَله بِمَا يُظْهِر لُحمةَ التّرابط والاتِّسَاق بَيْنَ مَعَانِيه، ويَكْشِف عَنْ إِحْكَام البِنَاء فِي إِيصَال مَعْنَاه.

* اِحْتَجَّ الشَّاعِر لآرائه وأفكاره بحُجَج قَوِيَّة تَبُثّ الإقناع بمَقْصِدِه في نَفْس المُتَلَقِّي، وتَسْتَنْهِض الهِمَم لمَطْلَب الحُرّيّة، فَنَسَجَ عِلَلًا عقلية وبراهين مَنطقيَّة ونماذج مُشاهَدة وأُخْرَى خالدة فِي تُرَاث الأَسلاف، مِمَّا أكْسَبَ النّصّ بُعْدًا حجاجيًّا مُحْكَمًا يُزَاوج فيه بَيْن العَقْل والتّاريخ، ويُرَسِّخ المَعْنَى فِي وجدان المُتَلَقِّي في توازُن دَقِيق بَيْنَ جَمَالِيَّة الإبَانَة وقُوَّة البُرْهَان.

* ظَهَرَ التَّصْوِير البَيَانِيّ فِي نَظْم الشَّاعِر مُرتكزًا رئيسًا وَوَسِيلَةً مَنْهَجِيَّةً فَعَّالة فِي نَقْل مَعَانِيه إِلَى المُتَلَقِّي، وتَجْسِيد أفْكَاره وتَصْوِير عُمق التّجربة التي عَاشَها الوَطَن وأبنائه، كَمَا رَسَمَ مِنْ خِلَاله طَرِيق النُّور والأَمل في إعادة ربيع الحرية والكرامة.

* جاءت صور شوقي شديدة الواقعية قوية الإبانة دالّة على المقصد، وذلك لِشِدّة الَتناسُب بَيْنَ طَرَفَي التَّصْوير، فَضْلًا عَنْ رُكُونه إِلَى الصُّوَر الغَرِيبة غَيْر المَأْلُوفة الّتِي تَسْتَمِيل النُّفُوس، وتَجْعَل العُقُول تَذْهب مَذَاهب عَدِيدة؛ لِتَتَدَبَّر مَوَاطِن الإِلْتِقَاء فَتَقِف عَلَى مَقْصد الشَّاعر، وتَتَبَيّن آلامه النَّفْسِيّة إِزَاء هَذَا الإِسْتِعْمَار، وهَذَا يُبَيِّن عَنْ بَدِيع صَنْعَتِه وبَلِيغ معناه.

* مَالَ شاعرنا إِلَى الصّور المُرَكّبة التى تُمَثِّل الواقع الأَلِيم وتَنْقِل للمُتَلَقِّي جَوَانِب عَدِيدَة للمَشْهَد المِصْرِيّ، حيث التّشبيه التّمْثِيلي والاستعارة التّمْثِيليّة ناسِجًا مِنْ هَذَا الغزل قُوَى الإِقْنَاع والقِيَاس والجَمْع بَيْنَ عِدَّة مَعَانٍ، تُفْصِح عَن المَقْصِد وتُؤَثِّر في النَّفْس، وَذَاكَ يُزِيد مِن الوَعْي بخُطُورَة الأَمْر ويُقَرِّب المُتَلَقِّي مِنْ مَعْنَى الشّاعر.

* نَوَّعَ شوقي في نسيج صوره فنَسَجَهَا مِنْ حُقُول مُخْتَلِفَة لِإِقْنَاع المُتَلَقِّي وتَقْرِيب المَعْنَى الّذِي يَقْصِده، فَظَهَرَ وَاضِحًا فِي نَسْجِه الحُقُول الأرضيّة والسّماويّة، فكانت صورة النّبات والرّوض والحُلَى والرّبيع والسماء والإبل والطّيور والسّباع والكواكب وغيرها، وهذا يُضْفِي عَلَى الصُّوَر عُمْقًا دِلاليًّا واتّسَاعًا رَمْزِيًّا، ويَعْكِس مُعاناة الوَطَن وسُمُوّ قَضِيّتِه، ويَفْتَح آفاق التّأويل أمام المُتلّقي.
* بَرَعَ شاعرنا فِي تَوْظِيف الكِنَاية والإيحاء والرّمز مُسْتَخْدِمًا مِن اتساع عطاءات المَعْنَى سَبِيلًا لِبَثّ الوَعْي المُجتمعيّ وتحقيق غايته في مُرَاده، فَجَاءَت أَبْيَاتُه تَحْمِل إِيمَاءَات ورُمُوز تَكْشِف عَنْ حال الشّعب وتَثْقل وَضْع البِلاد آنذاك.
* وَظَّفَ الشّاعر فُنُون البَديع فِي قصيدته توظيفًا فَنِّيًّا ظَهَرَ مِنْ خِلَال خِدْمة المَعْنَى وتَجْلِيَة الصّورَة وإيضَاح مَلامِحها، وتوظيفًا جماليًّا تَجَلَّى مِنْ خلال تَحْقيق نَغَم مُوسيقي مُتَمَيِّز وإيقاع صَوْتِي ضَاعَفَ مِنْ تَأْثِير المَعْنَى في نَفْس المُتَلَقِّي.
*رَبَطَ شوقي بَيْنَ خَاتِمة القَصِيدة ومَطْلَعِها، فَجَاءَت خَاتِمَتُها مُلَخِّصَةً للسُّبُل والمَنْهَج الّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَلْجَأَ إِلَيْه شَبَاب الوَطَن ويَحْتَمُوا فِي حِصْنِه، لِيَكُونُوا له كَالرّيْحَان للرّوض المُزْدَهِر.

توصيات البحث:

*اِسْتِخْراج الدّرر واللآلئ النّفِيسة فِي نَظْم شوقي، فَفِي نَظْمه مَا لَمْ يُدْرَس بَعْد دِرَاسةً بَلاغِيّة.
*التَّوَجُّه إِلَى دِرَاسة البُعْد الوَظِيفي والإِصْلَاحي والتّرْبَوي لِبَلَاغة النُّصُوص وأَثَرِها فِي إِعَادة بِنَاء الأُمَّة وإِصْلَاح المُجْتَمَع.

ثـبــت الـمـصـادر والـمـراجــع

أولا :القرآن الكريم: جلَّ من أنزله.

* الأعلام خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) ، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
* أحمد شوقي د. زكي مبارك ، دار الجيل بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
* أسرار البلاغة، للإمام عبد الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
* أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د.حسن طبل، دار الكتب، ١٩٩٠م.
* أمير الشعراء حياته أثاره أغراضه الشعرية محمد عطوات، دار المتأهل، لبنان، ط١/٢٠٠٤م.
* تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت،٢٠٠١ م.
* التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.
* الجامع الكبير سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩ – ٢٧٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١/١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
* جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف العلامة السيد/ أحمد الهاشمي، تدقيق حسن نجار محمد، مكتبة الآداب،ط٣، ٢٠١١م.
* دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني الدار (ت ٤٧١ هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.
* ديوان أبي فراس الحمداني، رواية أبي عبدالله الحسين بن خالويه (٣٠٠–هـ–٣٧٠هـ)، عني بجمعه ونشره وتعليق حواشيه سامي الدهان، بيروت، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.

* ديوان شوقي توثيق وتبويب وشرح وتعقيب الدكتور: أحمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر–القاهرة.
* سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (٢٠٩ – ٢٧٣ هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م
* الشوقيات لأمير الشعراء أحمد شوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة–جمهورية مصر العربية،٢٠١٢م.
* صور من الشعر الاجتماعى فى العصر العباسى، د.ضيف الله سعد الحارثى، جامعة أم القرى، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية،١٤١٧هـ.
* علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د.صلاح فضل، دار الشروق –القاهرة ، ط١، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.
* القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م
* قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، جودة حسنين جودة، فتحي محمد أبو عيانة، دار المعرفة الجامعية.
* كتاب العين لأبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
* الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ –١٩٨٧م.
* لسان العرب، لابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ – ١٤١٤ هـ.

* مختار الصحاح لزين الدين الرازي (ت ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
* مذكرات سعد زغلول، تحقيق عبدالعظيم رمضان، قراءة سامي عزيز وآخرون، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.
* المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله بن الطيب المجذوب (ت ١٤٢٦ هـ)، دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، ط٢، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م.
* معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة، إيميل بديع يعقوب، دار صادر- لبنان، ط١ ، ٢٠٠٤م.
* معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.
* معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ط دار إحياء التراث العربي. بيروت.
* المعجم الوسيط، لنخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢/١٩٧٢م.
* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.
* الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

-
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D%٨B%١D٨%٩A%D%٨AD%D%٨A%٧D٨٦%٩

thbit almisaadir walmaraje

'awalan :alquran alkarim: jll min 'anzalahi.

* al'aelam khayr aldiyn bin mahmud alzaraklii aldimashqii (t 1396 ha) , dar aleilm lilmalayini, ta15, 2002m.
* 'ahmad shawqi da. zaki mubarak , dar aljil bayrut. 1408h. 1988m.
* 'asrar albalaghati, lil'iimam eabd aljirjani, qara'ah waealaq ealayhi: mahmud muhamad shakiri, matbaeat almadanii bialqahirati, dar almadanii bijidatin.
* 'uslub alialtifat fi albalaghat alquraniati, da.hasan tabla, dar alkutub, 1990m.
* 'amir alshueara' hayaatuh 'atharah 'aghraduh alshieriat muhamad eatawati, dar almuta'ahili, lubnan, ta1/2004m.
* taj alearus min jawahir alqamus, mhmmd murtadaa alhusayni alzzabydy, tahqiqa: jamaeatan min almukhtasiyna, min 'iisdarati: wizarat al'iirshad wal'anba' fi alkuayt - almajlis alwataniu lilthaqafat walfunun waladab bidawlat alkuayti,2001 mu.
* altahrir waltanwiru(tahrir almaenaa alsadid watanwir aleaql aljadid min tafsir alkitaab almajid), muhamad altaahir abn eashur, aldaar altuwnisiat lilnashr - tunis, 1984m.
* aljamie alkabir sunan altirmidhi, 'abu eisaa muhamad bin eisaa bn surat altirmidhii (209 - 279 hu), haqaqah wakharaj 'ahadithah waealaq ealayhi: shueayb al'arnawuwt (jamie al'ajza'i), w haytham eabd alghafur , dar alrisalat alealamiati, ta1 1430 hi - 2009 m.
* dalayil al'iiejaz fi eilm almaeani, 'abu bakr eabd alqahir aljirjanii aldaar (t 471 ha), almuhaqiqi: mahmud muhamad shakir 'abu fahra, matbaeat almadanii bialqahirat - dar almadanii bijidati, ta3, 1413 hi - 1992m.
* diwan 'abi firas alhamdani, riwayat 'abi eabdalllh alhusayn bin khaluih (300-h-370h), eaniy bijameih

wanashrih wataeliq hawashih sami aldihan, birut, 1363h/1944m.
* diwan shawqi tawthiq watabwib washarh wataeqib aldukturu: 'ahmad muhamad alhufi, maktabat nahdat misr liltibaeat walnashri-alqahirati.
* sunan abn majh, 'abu eabd allh muhamad bin yazayd bin majat alqazwini (209 - 273 ha) almuhaqiqi: shueayb al'arnawuwt - eadil murshid - mhmmad kamil qarah bilili - eabd allltyf harz allahi, dar alrisalat alealamiati, ta1, 1430 hi - 2009m
* alshawqiaat li'amir alshueara' 'ahmad shawqi, muasasat hindawiun liltaelim walthaqafati, alqahirati-jumhuriat misr alearabiati,2012m.
* suar min alshier alaijtimaeaa faa aleasr aleabaasaa, da.dyf allah saed alharithaa, jamieat 'umi alquraa, maktabat almalik fahd alwataniati, alsueudiatu,1417hi.
* ealm al'uslub mabadiah wa'iijra'atihi, da.salah fadala, dar alshuruq -alqahirat , ta1, 1419h-1998m.
* alqamus almuhiti, majd aldiyn alfayruzabadaa (t 817h), tahqiqu: maktab tahqiq alturath fi muasasat alrisalati, bi'iishrafi: muhamad naeim alerqsusy, alnaashir: muasasat alrisalat liltibaeat walnashr waltawzie, bayrut - lubnan, altabeata: althaaminati, 1426 hi - 2005 m
* qawaeid aljughrafya aleamat altabieiat walbashariati, jawdat hasanayn judat, fathi muhamad 'abu eianata, dar almaerifat aljamieiati.
* kitab aleayn li'abu eabd alrahman alkhalil bin 'ahmad alfarahidii albasarii (t 170hi) almuhaqiqi: d mahdi almakhzumi, d 'iibrahim alsaamaraayiy, dar wamaktabat alhilal.
* alkashaaf ean haqayiq ghawamid altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawili, lijar allah mahmud bin eumar bin 'ahmad alzumakhshiri, dabtah wasahahih wrttbh: mustafaa husayn 'ahmadu, dar alrayaan lilturath

bialqahirat - dar alkitab alearabii bibayrut, ta3, 1407 ha -1987m.

* lisan alearabi, liabn manzur al'ansarii alruwayfeaa al'iifriqaa (t 711ha), alhawashi: lilyazji wajamaeat min allughawyin, dar sadir - bayrut, ta3 - 1414 h. * mukhtar alsihah lizayn aldiyn alraazi (t 666h), almuhaqiqi: yusif alshaykh muhamad, almaktabat aleasriat - aldaar alnamudhajiatu, bayrut - sayda, ta5, 1420h / 1999m
* mudhakirat saed zaghlul, tahqiq eabdaleazim ramadan, qira'at sami eaziz wakhrun, markaz wathayiq watarikh misr almueasiru, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, 1992m.
* almurshid 'iilaa fahm 'ashear alearabi, eabd allah bin altayib almajdhub (t 1426 hu), dar aluathar al'iislamiati-wizarat al'iielam alsafaat - alkuaytu, ta2, 1409 hi - 1989 mi. * muejam alshueara' mundh bad' easr alnahdati, 'iimil badie yaequba, dar sadir- lubnan, ta1 , 2004m.
* muejam allughat alearabiat almueasirati, d 'ahmad mukhtar eabd alhamid eumar (t 1424 ha) bimusaeadat fariq eamal, ealam alkatab, ta1, 1429 ha -2008m.
* muejam almualifin lieumar rida kahalati, t dar 'iihya' alturath alearabi. bayrut.
* almuejam alwasiti, linukhbat min allughawiiyn bimajmae allughat alearabiat bialqahirati, majmae allughat alearabiat bialqahirati, ta2,1392hi- 1972m.
* nafah altayib min ghusn al'andalus alratiba, 'ahmad bin muhamad almaqrii altilmsani, tih 'iihsan eabaas, dar sadir, bayrut, ta1, 1968m.
* alwafi balufyat, salah aldiyn khalil bin 'aybik bin eabd allah alsafadii (t 764hi), almuhaqiqi: 'ahmad al'arnawuwt waturki mustafaa, dar 'iihya' alturath - bayrut,1420hi- 2000m.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%8A%D8%AD%D8%A7%D9%86

فـــهـــــرس الـــمـــوضـــوعـــات

الـــمـــوضـــوعـــات	رقـــم الـــصـــفـــحـــة
الـــمـــقـــدمـــة	٢٣٤٥
الـــتـــمـــهـــيـــد: أولا: لمحة عن الشاعر ثانيا: بين يدي القصيدة	٢٣٥١
نـــص الـــقـــصـــيـــدة	٢٣٥٦
المبحث الأول: حنين الوطن الدائم إلى الشباب القوة الفاعلة في بناء مجده	٢٣٥٨
المبحث الثاني: روافد التوعية المجتمعية وآليات عملها بما يحقق الحرية و التطور.	٢٣٧٥
المبحث الثالث: إثارة الوعي بسبل الحرية والتقدم، ونبذ الجهل والتغافل.	٢٣٨٦
الـــخـــاتـــمـــة	٢٤١٥
ثـــبـــت الـــمـــصـــادر والـــمـــراجـــع	٢٤١٨
فـــهـــــرس الـــمـــوضـــوعـــات	٢٤٢٤